يسوع المعلّم العظيم

ج. م. برايس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

ديباجة المؤلف

لقد نتج هذا الكتاب عن العمل في صفوف الثقافة الدينية في مدرسة اللاهوت المعمدانية الجنوبية الغربية وعن رسائل مقدمة إلى معلمي مدارس أحدية في كنائس ومجامع واجتماعات أوسع ومؤتمرات في ولايات مختلفة.

ولا يهدف هذا الكتاب إلى تقديم يسوع بصفته معلماً بصورة مسهبة أو علمية. إنما القصد منه استمداد الحقائق من حياته وتعليمه التي بإمكانها أن تشجع وتقوي المعلمين العاديين.

ولقد نتج هذا الدرس عن الاعتقاد بأن معلمي المدارس الأحدية هم أعظم قوة للخير في أيامنا وبأنهم كثيراً ما يعملون تحت ثقل الصعوبات الحقيقية وخيبة الأمل فيحتاجون إلى ما ينعشهم ويشجعهم، لا إلى المعلومات فقط لكي يؤدوا مهمتهم.

ونحن نقدم شكرنا الجزيل لأصحاب الحقوق الذين أذنوا لنا بالاقتباسات التي أوردناها وللذين قرأوا النص وأعطوا اقتراحاتهم وتشجيعهم. وإننا نرجو أن يكون هذا الكتاب سبب بركة للمعلمين وغيرهم الذين يخدمون الرب في كل مكان وزمان.

ج. م. برايس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الأول: كفاءة يسوع للتعليم

لم يكن أحد كفوءاً لمهمته أكثر مما كان يسوع كفوءاً للتعليم. فإنه كان المعلم المثالي من جهة مؤهلاته كما كان كذلك من كل الجهات الأخرى. كان المعلم المثالي بصفته إلهاً وبصفته إنساناً أيضاً إذ "أنه أتى من الله معلماً" بكل معنى الكلمة. وكفاءته للتعليم تجمع عناصر كثيرة بعضها إلهية وبعضها بشرية، بعضها فطرية وبعضها إكتسابية، والتأمل في هذه العناصر ينعشنا في خدمتنا كمعلمين.

١- أنه بيّن الحق في حياته:

من أهم مؤهلات المعلم أن يكون هو نفسه مثالاً للحق الذي يعلمه. فإن القدوة تفيد أكثر من مئة عظة. ولذا يُقال "لا أسمع أقوالك لضجة صوت أعمالك" ويُقال أيضاً "أن أفضل غلاف للإنجيل هو ذلك المصنوع من جلد بشري". وأهمية جعل المعلم نفسه قدوة لنجاحه في التعليم هي ما جعل الرئيس جارفيلد يقول أن الجامعة المثالية تتكون من معلم مثالي مع تلميذ له ولو كان محل عملهما على قرمة من خشب في البرية. وقال أحد الشعراء أن المهم في التعليم ليس ما يتعلمه الإنسان بل ممن يتعلمه.

"إن الحق المبين في الحياة له وحده التأثير الفعال وعليه يجب أن يقول كل معلم أن درسه الأقوى تأثيراً هو نفسه أي حياته أمام تلاميذه." (١) هذا لأن الحق يُنقل بالتقليد أكثر مما يُنقل بالتدريس، والتأثير المعروض أفعل من التأثير المقصود، فلا يمكن أن تؤثّر كلمات المعلم أكثر مما تؤثر حياته. (٢) كما أن قدرة الفأس على قطع الخشب تتوقف على ثقلها. فيجب على معلم كلمة الله أن يبيّن الحق في مجرى حياته لا أن يتكلم عن الحق فقط فيصبح تعليمه فعالاً بالنسبة إلى فاعلية حياته. إن المعلمين العظماء جميعهم هم الذين جعلوا أعمالهم شواهد وصورة مطابقة لتعاليمهم في حياتهم.

كانت حياة يسوع بيان الحق فقال "أنا هو... الحق" (يوحنا ١٤: ٦). كان يمثل في حياته كل ما يعلمه ومهما كان موضوع تعليمه فقد كانت حياته المثل الحيّ في تطبيقه. وكان يعلم من فيضان حياته الفُضلى التي فيها طبّق كل درس قبل أن علّمه لغيره وبينه في أعماله أكثر مما بينه في أقواله. (٣) قال أحدهم: "رحابة روحه اتسعت لمسح الروح القدس الكامل... فكان من ينظر إلى عينيه ينظر النور الكامل... كان له ينبوع لا ينضب من الحق والمهابة والإحسان والغيرة والصبر والمواظبة وطول الأناة... فإنه وضح للمعتمدين كيفية الاعتماد وللخاضعين كيفية الخدمة وللحكام كيف يجب أن يحكموا وللجيران كيف يجب أن يتصادقوا وللمحتاجين كيف يصلون وللمتألمين والحزانى كيف يتحملون وللجميع كيف يموتون... حقاً إنه هو المثل الأعلى لتعليم كل العصور."

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نتج بيانه للحق عن أمرين أوّلهما كونه الله واقتناؤه صفات الله جميعها ولذا كان الكائن الكامل الوحيد، وبهذا اختلف عنا لا بدرجة فضائله فقط بل بجوهر كيانه أيضاً، لذلك لن نتمكن من الاقتراب إلى كماله. لكن بيانه الحق في حياته نتج أيضاً عن درسه الحق وتأمله فيه واختباره إياه حتى أصبح الحق جزءاً من نفسه. كما قال البشير "كان يسوع يتقدم في الحكمة" (لوقا ٢: ٥٢). فإنه كان يتعلم كابن كأخ في البيت وكتلميذ وكمشترك في المجتمع. تعلم من اختباراته في الحياة اليومية وتعلم من التجارب التي جربه بها إبليس- قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين "لأنه لاق بذاك (أي الله)... أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام" (عبرانيين ٢: ١٠).

وأثر تجسد الحق في حياة يسوع على تعليمه من ناحيتين على الأقل. أولاً كان الحق المبين في حياته يدخل إلى تعليمه نغمة السلطان التي لم يكن لها مثيل في تعليم الكتبة والفريسيين أي المعلمين المعترف بهم في تلك الأيام. لأن علمهم كان إجمالياً من مصادر خارجية، وكانوا قد استمدوا مما سمعوه فكانوا يعلمون بواسطة الاقتباس من الثقات. أما علم يسوع فكان من الداخل من صميم حياته ولم يكن بحاجة إلى ما يدعمه. وعليه كان يعلم بجلاء ويقين وقوة. "فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مرقس ١: ٢٢).

وكانت أعماله المثالية في حياته تخلق الثقة بتصريحاته في قلوب سامعيه لأنهم رأوه يمارس ما طلب منهم أن يمارسوه. شاهدوا كيف أنه واجه الحزن والانتقاد وخيبة الأمل والاضطهاد فكانت حياته العملية توضح وتعزز كلامه. "فإن أعظم ما استفاده تلاميذه من تعليمه لم يكن عقيدة ما أو تعليماً ما بل كان تأثير حياته عليهم. ومجرد حضورهم معه كان العامل الكبير في حياتهم حتى ساعتهم الأخيرة."(٥) "فأقام اثني عشر ليكونوا معه" (مرقس ٣: ١٤).

أما نحن المعلمين من بني البشر فباستطاعتنا أن نبين تأثير حياة يسوع الساكن فينا وهكذا فقط نكون أكفّاء للتعليم من هذه الناحية.

٢- أنه جاء لكي يَخدم:

من أهم مؤهلات المعلم الاهتمام بالآخرين والرغبة في مساعدتهم فإن أعوزه هذا الاهتمام وهذه الرغبة فإنه يصبح "نحاساً يطن أو صنجاً يرن". ومهما امتاز في معرفة الكتاب المقدس وفي تفهم الطالب وفي المهارة في أساليب التعليم فلا شيء من هذه يعوّض عن عدم الاهتمام بصالح الآخرين. وكذلك الاهتمام بأن يكون الصف كبيراً وبأن يكتب له النجاح في العمل أو بأن يتقن الطرق المستحدثة في التعليم لا يحل محل الاهتمام القلبي بالأفراد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن جهة أخرى فإن المحبة والرغبة في خدمة الطالب تعوضان إلى حد بعيد عن الضعف في العلم وأساليب التعليم. عرف المؤلف من معلمي صفوف الفتيان في المدارس الأحدية (أي الطلاب من السن الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة وهي أصعب سن للتعليم) معلمين كان ينقصهم تقريباً كل مؤهلات التعليم ما عدا المحبة لطلابهم وكانت هذه المحبة وحدها تكسبهم النجاح والتأثير الفعال، لأن الطلاب يدركون إما عاجلاً أو آجلاً اهتمام المعلم فيقابلونه بالمثل. إن المحب محبوب من الجميع.

من الأمور البارزة في شخصية يسوع اهتمامه بصالح الآخرين. إنه لم يكن يعطي للمذاهب والفرائض والأنظمة والأبنية والمفروشات والأدوات الأهمية التي كان يعطيها للأفراد. رآهم "كخراف لاراعي لها" (مرقس٦:٣٤). فلما انتقد الفريسيون تلاميذه على فركهم القمح في السبت دافع عنهم بقوله "السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت" (مرقس ٢:٢٧). ولما أوقفه الشاب الأناني البخيل في الطريق ليسال عن طريق الحياة يُقال أنه "نظر إليه يسوع وأحبه" (مرقس ١٠:٢١). ولما تضرع إليه الرجل المصاب بذلك المرض الكريه (البرص) رقّ له قلب يسوع فمدّ يده ولمسه (مرقس ١:٤١). وكان يتحنن على الكتبة المنتقدين والفريسيين الحاسدين وعلى العشارين المبغضين والخطاة المحتقرين وعلى العميان والطرش والعرج.

كان يسوع يحب الناس ويهتم بمشاكلهم. قيل عنه "انه عبر عن محبة الله وجسدها وأشفق على الناس في مصائبهم جميعاً" (٦) فلم يكن يشفق عليهم فقط بل رغب في إعانتهم في تلك المصائب. "لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى ٢٠:٢٨). صرف النظر عن تعبه لكي يكلم امرأة منحطة، عند البئر، عن ماء الحياة، ولم يعتبر زيارته لبيت العشار المكروه أمراً يحط من مكانته. واجه انتقاد قواد الدين له في معاشرة الخطاة وأظهر اهتمامه بالضالين في أمثال الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الضال. رقت عواطفه للعالم المحتاج ومد له يد الخدمة والمعونة.

إن الرغبة في الخدمة كانت من مميزات كل معلم عظيم خلال جميع العصور. ويصح هذا القول على بانتاينوس مؤسس المدرسة المسيحية الأولى في الإسكندرية قرب جامعة وثنية ، وعلى بنديكت مؤسس النظام التعليمي في "مونته كاسينو" الذي أثر على حياة أوروبا مدة ثلاثة قرون، وعلى جرارد غروث مؤسس جمعية دعيت "بجمعية أخوة الحياة المشتركة" لتعليم أولاد الفقراء، وعلى لويولا مؤسس النظام اليسوعي لتعليم الشباب وعلى روبرت رويكس مؤسس حركة المدارس الأحدية التي قد انتشرت إلى أقصى المسكونة. إن الرغبة في خدمة الآخرين لا يُستغنى عنها في التعليم الموفق.

٣- أنه وثق بفاعلية التعليم:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اعتبر يسوع التعليم الفرصة العظمى لتشكيل المثل العليا في الناس وعقليتهم وتصرفاتهم ولذا فإنه لم يكن أولاً واعظاً أو مصلحاً أو حاكماً بل كان أولاً معلماً. ومع أنه لم ينتمي إلى مهنة التعليم كالكتبة والأساتذة الذين كانوا يفسرون الناموس بأدق التفاسير لكنه كان يعلم. لم يكن يهيج الغوغاء ولم يلتجئ إلى إثارة عواطف الجماهير ولا إلى الفرائض والطقوس ولا إلى المناورات السياسية بل اعتمد عملية التعليم والتدريب المطولة. قال أحدهم "كان عمله الرئيسي التعليم. فكثيراً ماكان شافياً وتارة كان صانع عجائب وطوراً واعظاً لكنه دائماً معلماً.ولم يعلم في أوقات فراغه من أعماله الأخرى بل قام بأعماله الأخرى في أوقات الفراغ من التعليم، لأنه جعل التعليم وسيلته الأولى للفداء" (٧).

ومما يبين تقدير يسوع للتعليم كوسيلة لتأدية مهمته هو أنه كان معروفاً عند الناس كافة "بالمعلم" فنرى في الأناجيل أن تلاميذه ومعاشريه عرفوه كمعلم.(٨) دُعي "معلماً" لما قال له نيقوديموس "يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً" (يوحنا ٣:٢) ولقب بهذا اللقب لا أقل من خمس وأربعين مرة في الأناجيل ولم يلقب "بالواعظ" أو "الكارز" مرة واحدة. ويقال أنه إذا عددنا كل لقب له معنى "معلم" لكان العدد واحداً وستين،(٩) منها أربعة وخمسون لقباً أخذت من الكلمة اليونانية التي تعني "معلم مدرسة"(١٠) ويقال أنه ورد في خمس وأربعين مرة أنه كان يعلم، وفي إحدى عشرة أنه كان يكرز وكثيراً ما ذُكرت الكرازة مع التعليم كما قيل عنه أنه كان "يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت" (متى٤:٢٣). وسماه "معلماً" لا الاثنا عشر تلميذاً فقط بل تلاميذه الآخرون أيضاً وحتى أعداؤه. (١١)

وكذلك كان يسمي نفسه معلماً قائلاً "أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنني أنا كذلك" (يوحنا ١٣:١٣). وسمى نفسه أيضاً "بالنور" الذي يشمل معنى التعليم. وجديرٌ بالذكر في هذا الصدد أن نلاحظ أن يوحنا المعمدان سمي دائماً بكارز لا بمعلم.(١٢)

وهناك إشارة أخرى إلى الأهمية التي أعطاها يسوع للتعليم وهي الألقاب المطلقة على أتباعه فلم يُدعَوا خاضعين له ولا خُداماً ولا رُفقاء. ولم يوصفوا باللقب "مسيحيين" إلا ثلاث مرات في العهد الجديد وفي إحداها سموهم بهذا الاسم احتقاراً لهم. أما لقب "تلاميذ" فمستعمل ٢٤٣ مرة ورسالته معروفة بلفظة "تعليم" (تسعاً وثلاثين مرة) وبلفظة "حكمة" (ست مرات) وهي غير معروفة بلفظة "خطاب" أو "وعظ" وحتى العبارة "الموعظة على الجبل" غير واردة في العهد الجديد بل يقول متى "ففتح فاه وعلمهم" (متى٥:٢) فيجب أن تسمى "التعليم على الجبل"!

يتضح تشديد الرب على التعليم أيضاً في تحمسه ونشاطه في التعليم فإنه كان يعلم في كل مكان-في الهيكل وفي المجامع وعلى الجبل وعلى شاطئ البحيرة وإلى جانب الطريق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقرب البئر وفي البيوت وفي المجتمعات وفي الاختلاء مع أفراد. وقد يخْلُ بساعاته حتى على عمل الشفاء عندما كان يرى أن بإمكانه أن يستخدمها في تقديم رسالته. (١٣) ويقول متى "كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب" (متى٤:٢٣). كان يخلق في اجتماعاته جواً تعليمياً لا جواً خطابياً مثيراً لأن الناس شعروا بالحرية في أن يسألوه أسئلة وكان هو بدوره يسألهم أسئلة.

ودرب يسوع جماعة من المعلمين لكي يواصلوا عمله من بعده "وفي الأيام الأخيرة من خدمته العامة كرس نفسه لتعليم الجماعة الصغيرة من الذين تبعوه" (١٤) وأمر هؤلاء التلاميذ أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم (أي أن يجذبوهم إلى دخول مدرسة المسيح) ويعمدوهم (وهي فريضة تعليمية) ويعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصاهم به (متى ٢٨:١٩-٢٠) فكان ليسوع الثقة التامة بفاعلية التعليم وهذه الثقة هي صفة لا غنى عنها في صفات المعلم. فإنه كرس نفسه للتعليم وهكذا قدس إلى الأبد هذا العمل. "فإن مجد مهنة التعليم الأعظم هو أن يسوع المسيح لما واجه مهمة حياته اختار أن يكون معلماً". (١٥)

٤-أنه أحاط بالكتاب المقدس علماً:

إن الإحاطة التامة بمعرفة الكتاب المقدس هي شرط ضروري لنجاح المعلم، لأن هذا الكتاب هو المادة الرئيسية في عمله. وقد كان يسوع من هذه الناحية حائزاً على كل المؤهلات كما ظهر ذلك حين تجربته في البرية لأنه قابل محاولة إبليس لإيقاعه في فخ بكلمات الكتاب المقدس (متى٤:١-١١). وفي أثناء خدمته العامة اقتبس من عشرين سفراً من أسفار العهد القديم على الأقل وبيّن أن محتوياتها كانت مألوفة لديه. وفضلاً عن ذلك فإنه كان يعرف الكتب معرفة جيدة لدرجة أنه قابل بين نقصها وكمال تعليمه هو (متى ٥:١٧-٤٨). ولم يكن يعرف الكتب فقط بل سبر أعماقها واكتنه معانيها ومراميها حتى استطاع أن يطبقها بسهولة على حوادث أيامه.

ولم يحصل يسوع على معرفة الكتب معرفة كاملة لأنه إله فقط بل لأنه درسها. ولقد بادر إلى ذلك من طفولته في بيت يهودي جوه التقوى والتعليم. وقال واحد عن اليهودي التقي "حتى الأعمال البيتية التي قامت بها الأم كانت تكوّن أخلاق أولادها وتعدلها بحسب التعليم الوطني" (١٦)

ويقول آخر "بينما ينام الطفل اليهودي على ذراعي أمه تجذب أنظاره عدة حاجات بيتية فتفسر له أمه معناها الديني" (١٧) ومن جملة العادات المألوفة في البيت تقبيل الأصابع التي لمست أوراقاً من الكتاب المقدس معلقة على قائمة الباب أو إلى الذراع أو الجبين. وهناك هدب ثوب الاب الملون الذي يذكر بوصايا الله، والصلوات اليومية وتقديم الشكر لا سيما عند تناول الطعام وحفظ فرائض السبت وبينها إشعال النار والمشعل السبتي وهناك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعياد السنوية كعيد الفصح وعيد المظال وتقديم أبكار القطيع لله بكل رزانة ووقار. فتعلم يسوع الكتاب المقدس في بيته وكان ينمو في الحكمة كما في القامة. "فظهرت من وراء كل جملة فاه بها تربيته في الناصرة".

وتعلم أيضاً في المجامع التي لم تخل قرية من واحد منها في أيامه. وقد كان ذهاب الصبيان والرجال إلى المجمع عادة مستحبة إن لم يكن فرضاً إجبارياً. فقال لوقا "دخل المجمع حسب عادته يوم السبت" (لوقا٤:١٦). وكانت تقام الاجتماعات في المجمع في السبت ويوم الاثنين ويوم الخميس وفي الأعياد وأيام الصوم وكانت هذه الاجتماعات تعليمية. فكان يقرأ أحد الرجال من الناموس (الأسفار الخمسة الأولى) ويفسره واحد عدداً عدداً ويطبقه على حياة الناس. وهكذا كانوا يقرؤون الناموس كله مرة كل ثلاث سنوات ونصف السنة كما ندرس نحن الكتاب كله بترتيب في صف البالغين في المدارس الأحدية. وبعد قراءة الناموس وتفسيره في الاجتماع كان قارئ يقرأ من أسفار الأنبياء ثم يفسر القراءة كل ثلاثة أعداد معاً. وهذا هو الجزء من الاجتماع الذي في خلاله قرأ يسوع في مجمع الناصرة كما يذكر لوقا (٤:١٧-١٩). وأحياناً كان بعض الحضور يسألون أسئلة وغيرهم يجيبون عليها. وإضافة إلى هذا كان الجميع يتلون أقساماً من الأسفار المقدسة معاً. فهكذا تعلم يسوع الناموس والأنبياء واستطاع أن يرد على معلمي الناموس بالسؤال "ألم تقرأوا...؟"

وكانت تقام في المجمع مدرسة ابتدائية للصبيان يتعلمون فيها ستة أيام في الأسبوع. وفتح مثل هذه المدرسة مطلوب من كل مجمع فيه خمسة وعشرون طالباً أو أكثر وكان حضور الطلاب إجبارياً. وكان الصبي يدخل المدرسة في سنه السادسة ويستمر في دراسته إلى سنه العاشرة. وكان يبتدئ بسفر اللاويين ويدرس الناموس والتاريخ والأنبياء والشعر وبهذه الطريقة درس يسوع التعاليم الدينية والأخلاقية والطقسية. ثم من سنه العاشرة إلى الخامسة عشرة درس تفاسير الناموس الشفهية. وحينما أكمل ثلاث عشرة سنة أصبح "ابن التوراة" وعضواً مسؤولاً في المجمع.

فقال واحد عن يسوع "أنه حفظ الكتب المقدسة كلها غيباً تقريباً كما يظهر من اقتباساته ومن إشارته إلى الناموس وإلى أسفار أشعياء وأرمياء ودانيال ويوئيل وهوشع وميخا وزكريا وملاخي وأكثر من الكل إلى سفر المزامير".(١٨) واستطاع يسوع أن يقف أمام الأساتذة في الهيكل في سنه الثانية عشرة وأيضاً أمام أصرم منتقديه في كل حين.

٥-أنه فهم الطبيعة البشرية:

يُطلب من المعلم مع معرفة الكتاب المقدس فهم الطبيعة البشرية، ومن بعض النواحي كان هذا الفهم أهم من معرفة الكتاب لأن المعلم لا يقدر أن يطبق الكتاب على الحياة إن لم يفهم الطالب وحاجاته. ومن يعمل مع الطبيعة البشرية يجب أن يعرف عنها شيئاً. فكما أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الطبيب يحتاج إلى فحص المريض قبل أن يصف له الدواء كذلك يحتاج المعلم إلى معرفة الحياة البشرية ومشاكلها قبل أن يطبق عليها الدواء الكتابي. فبالحقيقة أن الطلاب أهم من المادة، والكتاب المقدس ذاته يعطى للتعليم والتقويم والتأديب "لكي يكون إنسان الله كاملاً" (٢تيموثاوس٣:١٧). إذاً من الأمور الهامة جداً أن نفهم الأشخاص الذين نعلمهم.

أما يسوع فلم يكن يعرف فقط عقلية الشعب العامة بأجزائها وأقسامها، بل كان هو نفسه خبيراً ذا نظر ثاقب يدخل إلى قلب الفرد وإلى حركات أفكاره الداخلية. كما يقال "لأنه علم ما كان في الإنسان" (يوحنا ٢:٢٥) أو بحسب ترجمة موفت "علم جيداً ما في الطبيعة البشرية". والإنسان لن يعرف كل ما يحتويه هذا القول من معنى إذ لا شك في أن المعلم العظيم قد سبر غور الحياة البشرية فاستطاع معرفة سامعيه أصالحون هم أم طالحون، منتبهون أم ساهون، أصدقاء له أم أعداء، مهتمون بتعليمه أم مهملون، فاهمون تعاليمه أم مرتبكون من تأثيرها موافقون على ما قاله أم معارضون له. ولولا هذه المعرفة لم يكن تعليمه فعالاً وقيماً ولكان وقع مراراً في الشرك الذي أعده له أعداؤه. كما وأنه بواسطة هذه المعرفة فهم مقدرة تلاميذه وحاجاتهم ومواقفهم ودوافعهم وبواسطتها استطاع أن يعلمهم على ضوء ظروفهم وحاجاتهم. فكانت معرفته هذه الفطرية من جهة أسلوبه في التعليم السبب الأول لقدرته العجيبة في التعليم.

وتشهد بضع حوادث لفهمه الثاقب للطبيعة البشرية حتى ولأفكار الناس. فلما قال الكتبة في أنفسهم إنه يجدف بقوله للمفلوج "مغفورة لك خطاياك" علم يسوع أفكارهم وقال "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟" (متى ٩:٤). ولما تذمر تلاميذه على قوله "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم"-"علم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال...منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه" (يوحنا٦ : ٦١ و٦٤).

ولما أراد الفريسيون والهيرودسيون أن يوقعوه في فخ "علم رياءهم وقال لهم لماذا تجربونني؟" (مرقص ١٢ : ١٥). ولما رأى نثنائيل قال "هو ذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه" (يوحنا١ :٤٧). وما طلب من السامرية أن تدعو زوجها وأجابته ليس لي زوج قال لها: "حسناً قلت ليس لي زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك" (يوحنا ٤ :١٧ -١٨). حقاً إن يسوع عرف الناس وكان هدفه من تعليمهم أن يسد حاجاتهم العميقة المخبأة التي في أحيان كثيرة لم يدركوها هم أنفسهم.

٦- أنه أتقن فن التعليم:

لا نؤكد هنا أن يسوع درس أساليب التعليم وطرقه عمداً ثم سعى لتطبيقها. إن ذلك من المحتمل ولكن ليس من المرجح وبالرغم من عدم درسه هذه الأساليب كان يُتقنها ويستعملها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بدون تكلُّف وبدون جهد فكان سيد أساليب التعليم وذلك إما عن طريقة البداهة أو طريقة الاقتباس. ومع أنه لم يشر إلى مبدأ نفساني ولا إلى نظرية تعليمية ولا إلى طريقة تلقينية فإنه كان خبيراً، وتحت إمرته جميع هذه الأمور فاستعملها بطريقة فعالة كما وأنه استخدم أساليب التعليم كلها بصورة مؤثرة وبدون تكلف وكأنها خرجت عنه طبيعياً. وكان يواجه كل فرصة للتعليم بكل قدرة وحذاقة تامة ويختار لها الطريقة المناسبة. وهكذا سبق جيله لدرجة أن أستاذاً في عصرنا سمى كتابه "أساليب تعليم يسوع في يومنا هذا" فإن أمهر المعلمين اليوم لم يلحق به بعد وسنستمر نتعلم منه طرق التعليم.

ويظهر إتقانه لفن التعليم باستعماله من وقت إلى آخر كل أسلوب مُستَعمل الآن تقريباً أو على الأقل المبادئ الأساسية فيها – استعمَل السؤال، والمحاضرة، والمَثَل، والمحادثة، والمباحثة والرواية، والأمر الملموس، والمشروع، والتمثيل. وسندرس هذه الأساليب بتفصيل أكثر فيما بعد. ويظهر إتقانه لفن التعليم أيضاً في تنسيقه أجزاء الدرس إذ نجد عندما نحلله إلى أجزائه المقدمة ثم صلب الموضوع ثم الختام كما هو الترتيب المرعي المستحسن اليوم. وسندرس هذه التنسيقات أيضاً فيما بعد.

كان يقدم موضوعه مباشرة ويوضحه بجلاء ويطبقه تطبيقاً جيداً. حقاً كان متقناً لفن التعليم. ويحسن بنا أن نقتدي به في إتقان فن التعليم. فإن التكريس والحماسة والأمانة لا تعوّض عن معرفة أساليب التعليم ولا تُغنِي عن ضعف في تنسيق أجزاء الدرس. إذ ليس فن التعليم فِطرة بل هو أن يساعد هذا الكتاب المعلمين في هذا السبيل. وعلى المعلم أن يدرس كتباً أخرى عن التعليم ويتقنها وأن يدرس كتباً عن الطلاب وحاجاتهم لأن الله – مع كون الأمور الأخرى متساوية – يستطيع أن يستعمل المعلم المدرب أكثر من غير المدرب. ونحن مدينون لأنفسنا ولطلاب صفوفنا بإجادة التعليم على قدر الإمكان. إذاً وبناء على بيان يسوع للحق في حياته، ورغبته في خدمة الآخرين، وثقته بفاعلية التعليم، ومعرفته الكتب المقدسة والطبيعة البشرية، وإتقانه فن التعليم، فإنه كان أكثر معلمي العالم كفاءة. كان المعلم العظيم بل المعلم الذي لا نظير له كما قال ج. ل كورزين. إنه مثالنا الأبدي الذي سنتعلم منه على الدوام ونقتبس من رسالاته وأساليبه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

كان يسوع كفؤا" للتعليم لأنه:

١- بين الحق في حياته.

٢- جاء لكي يخدم.

٣- وثق بفاعلية التعليم.

٤- أحاط بالكتاب المقدس علماً.

٥- فهم الطبيعة البشرية.

٦- أتقن فن التعليم.

مواضيع للبحث

١- لماذا يعتبر من الأمور المهمة أن يرفق المعلم بين ما يعمله في حياته ما يعلمه في صفه؟

٢- ما هي قيمة الرغبة في خدمة الآخرين؟

٣- لماذا كان يسوع يثق بفاعلية التعليم؟

٤- أية منظمة عصرية تشبه مدرسة المجمع أكثر من غيرها؟

٥- لماذا يحتاج المعلم إلى فهم تلاميذه؟

٦- كيف تعلم يسوع أساليب التعليم؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أسئلة للمراجعة والامتحان

١- كيف أثر بيان يسوع للحق في حياته على تعليمه؟

٢- بين أن يسوع كان معروفاً كمعلم.

٣- أشر إلى بعض ما علمه يسوع عن الطبيعة البشرية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني: صفات تلاميذ يسوع

إذا ظن أحد أن الذين علّمهم يسوع ومنهم الاثنا عشر كانوا أشخاصاً مثاليّين فهو على ضلال. وقد نميل إلى هذا الخطأ لكونهم أشخاص الكتاب المقدّس ولكونهم بعيدين عنّا الآن. لكنهم كانوا بشراً وقد اتَّصَفوا بما في البشر من قصور وضعف، والبشرية آنذاك لم تكن تختلف عما هي عليه الآن إذ رغم التغييرات التي تحصل في الظروف المحيطة فإن الطبيعة البشرية تبقى كما هي.

ويصحُّ هذا القول على جميع العصور والبيئات وأحوال الثّقافة والمدنيّة. وقد عبّر"ول روجرس" عن دوام الضّعف في الإنسان بتعليقه على مؤتمر دوليّ للسّلام في أوربّا قائلاً "لا تزال هناك مشكلة صغيرة يجب أن يحلّوها وهي مشكلة الطّبيعة البشريّة."

إنّ هذه هي المشكلة الدّائمة الوجود. فإذا نظرنا إلى الّذين علّمهم يسوع وعرفنا ضعفهم نضيف إلى معرفتنا شيئاً ونعثر على بعض الاقتراحات لمعالجة طلّابنا وقد نتشجّع في خدمتنا التّعليمية. يقسم الذين علمهم يسوع إلى الأقليّة المقرّبة منه، وجماعة أتباعه كلّهم، والجمهور الكبير المؤلّف من منتقديه ومن الّذين لم يهتمّوا كثيراً به أو بتعليمه.

١- كان طلابه غير كاملي النّمو شخصياً:

كان هؤلاء الذين عاملهم يسوع لا يزالون بعيدين جداً عن حدّ الكمال في بدء عمله معهم وبقوا كذلك إلى انتهاء مدّة تعليمه إيّاهم. كانت فيهم فقط جرثومة الشّخصية الكاملة وكانوا في الطّور الابتدائي من القداسة. فاحتاجوا إلى الكثير منها وإلى الصّبر العظيم من لَدُن معلّمهم قبل أن أصبحوا مسيحيّين بالغين وقبل ذلك خاب أمله فيهم كثيراً وفشلوا هم مراراً وتكراراً. فإنه لم يكن بمقدرة أحد غير يسوع أن يتّخذهم تلاميذ له وينمّيهم كما فعل هو لأن ذلك يتطلّب بعد نظر، ومحبّة وصبراً غير محدودين، ومثابرة ونشاط دائمين.

فلا نحتاج إلى التمعُّن في أمرهم لكي نرى ضعفهم وعدم كمالهم. فهذا يوحنّا الذي كان عتيداً أن يصير التّلميذ المحبوب لم يقدر أن يكبح حدّة طباعه وفشل فشلاً تامّاً في إظهار محبّة يسوع للسامريّين الذين أظهروا الجفاء وقلّة الأدب. وكذلك سمعان الذي كان عتيداً أن يُسمَّى "بطرس" أي "صخرة" أعوَزه الطّبع الهادئ الرّاسخ المتضمّن في اسمه لمّا وعد يسوع بأنه يبقى معه حتى ولو تركه الجميع غير أنه بعد بضع ساعات فقط أنكره ثلاث مرات مؤكداً إنكاره بالحلف.

وتصلّب توما في رأيه ولم يصدّق قيامة المسيح من الموت إلى درجة استلزمت لإقناعه جهد السّيد الخاص. وأمّا يهوذا الاسخريوطي فبعد معاشرته للمسيح وسماع تعليمه لمدة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

طويلة لم ينمُ إلى درجة تُمكِّنه من رفض التجربة وتسليم معلّمه لأجل ربح مادّي قليل. فلما ابتدأ يسوع يعلّم تلاميذه كانوا جميعاً قد توقّفوا عن نموّهم الرّوحي أو ارتدوا إلى الوراء.

انتخب يسوع هذه الجماعة من الأشخاص المتأخرين غير الكاملين والذين كان تحسّنهم يبدو بعيد الحصول فنمّاهم حتى أصبحوا جماعة من الأشخاص البالغين المتّزنين والذين باركوا العالم كلّه فهذا العمل هو عجيبة في فنّ التّعليم والتّدريب لم يبلغها معلّم آخر في كلّ العصور وكانت سبب التّشجيع والتّقوية للمعلّمين المسيحيين منذ ذلك الوقت. حقاً لا يعرف أحد الإمكانيات في شخصية صبي أو بنت وما قد يظهر منهما في المستقبل لسبب التعليم الجيد. اعتاد معلم من "جمعية أخوة الحياة المشتركة" أن يرفع قبعته تحية لتلاميذه قائلاً إنه لا يعرف إذا كان في حضرته من سيصبح أعظم من الإمبراطور وحقاً كان أحد تلاميذه مارتن لوثر.

وقد أُتِيح لنا نحن المعلمين امتياز التأثير على حياة أشخاص غير بالغين قد يَظهرون ممن لا قيمة لهم، وقد أُتيح لنا أن ننمّيهم حتى يصبحوا أشخاصاً بارزين. ومثلنا قد يكون مثل الحداد الأعرج الذي جمع من الشوارع أربعة صبية لم يظهروا أقل إمكانية لإفادة العالم وعلّمهم ودرّبهم بصبر. وعاش الحِداد حتى رأى واحداً منهم يصبح مراسلاً في بلاد بعيدة وآخر وزيراً في حكومة وغيره أمين سرّ رئيس جمهورية والرابع رئيس الولايات المتحدة "ورن ج. هاردنغ".

٢- كان طلابه حادِّي الطّباع:

لم يكن تلاميذ يسوع غير كاملي النمو فقط بل كان قد نما فيهم بعض الصفات الرديئة. كان البعض منهم نَزِقي الطباع لدرجة بعيدة وأوَّلهم بطرس الذي "كان ينساق لعواطفه فيسرع مُندفعاً كماء جدول منحدر من الجبل بسرعة فوق الصخور في طريقه إلى البحر. كان بطرس أهوج يعمل فوراً ثم يتأمّل في ما عمله بعد فوات الوقت." ومثالاً على ذلك قفزه إلى البحيرة في الصباح البارد لكي يسبح إلى يسوع على الشاطئ بينما كان بإمكانه أن يأتي إلى الشاطئ في السفينة مع رفاقه (يوحنا ٢١:٧). ومرة أخرى رفض أن يغسل له يسوع رجليه ثم إذ علم أن ليس له مع يسوع نصيب إن لم يقبل بذلك طلب إليه أن يغسل له رأسه ويديه أيضاً (يوحنا ١٣ :٩). و المثل البارز في تسرعه هو قطع أذن عبد رئيس الكهنة حين إلقاء الأيدي على يسوع (يوحنا ١٨: ١٠).

كان يوحنا أيضاً سريع الغضب فسماه "ابن الرعد". وظهر هذا الطبع فيه لما دخل هو والتلاميذ الآخرون إلى قرية سامرية ليعدوا مكاناً ليسوع ورفضوا لأنهم كانوا متجهين نحو أورشليم والسامريون لا يعاملون اليهود – فاحتدم يوحنا غيظاً وقال "يا رب أتريد أن نقول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم؟" (لوقا٩: ٥٤) فما أبعد هذه الصفة فيه عن الشيخ المسن الذي قال "من لا يحب لم يعرف الله" (١ يوحنا ٤: ٨).

وكان آخرون من المقربين إلى يسوع نزقي الطباع أيضاً، فسمعان الغيور كان عضواً في حزب سياسي متطرف كما يظهر من اسمه وهو سواء أكان شخصية متطرفة في حزبه أم لا فإنه كان من جماعة انقلابية لما دعاه يسوع ليتبعه.

أما يوحنا المعمدان فقد كان ذا طبع حاد لا يتقيد بعرف أو عادة فهو يترك صيامه ليجوب البلاد لابساً ثيابه الخشنة و يدعو الجيل الملتوي والشرير إلى التوبة."خرج وعيناه كلهيب نار ليقدم للناس دعوته المطلقة. وكانت كلماته المحرقة تلفح السامعين وتخرق إلى ضمائر غشتها الخطية بطبقة سميكة." وحتى متى لم يكن محافظاً جداً. يقول "ت.ر.غلوفر" كان العشار بينهم مثلهم تسعاً وحدة فقد ترك عمله في مصلحة الجمارك حالاً عند إلقاء كلمة عليه وفي هذا دليل على التسرع والنزق وحرارة القلب".

اتصف التلاميذ بِحِدّة الطباع والاندفاع لدرجة أن يسوع كان يحثهم دائماً على التبصر بعواقب العمل قبل الإقدام عليه، ومع ذلك علينا أن نتذكر أن الحقيقة في تلك الأيام كما في عصرنا الحاضر هي أن الأشخاص الجسورين الشجعان المتقدمين هم الذين قاموا بنشر ملكوت الله وليس الأشخاص المحافظون الوقورون المهذبون. إن التلميذ المتوثب الذي يستوجب أن تردعه وتقمع حماسه أكثر من غيره قد يكون شخصية ذات قيمة عظيمة في المستقبل.

ولنا أن نشكر الله لأجل المندفعين المتسرعين الذين أرشدوا إلى الصواب.

٣- كان طلابه خطاة:

واجه المعلم أشخاصاً غير كاملين، غير بالغين، متسرعين في العمل، وفضلاً عن هذا كله كانوا ميالين إلى الخطية. ومع أن بعضهم أصبحوا فيما بعد مسيحيين بارزين لم يكونوا دائماً أتقياء كما نتصورهم نحن، والرسّامون عملت فيهم دوافع وشهوات لولا المُثُل المسيحية التي ضبطتها لكانت أدّت بهم إلى الشرور الواضحة. والحق يُقال إن ذلك هو ما حصل في البعض ففعلوا ما ندموا على فعله وتمنّوا بعدئذ أن يُمحَى من السّجل.

كان بعض الذين علمهم يسوع وغيّر حياتهم قد انغمسوا في الشر إلى درجة بعيدة وأحدهم رغم معاشرته يسوع مدة سنوات وإشغاله مركز أمين صندوق للإثني عشر استسلم للطمع وباع معلمه بثلاثين من الفضة. لكن يهوذا لم ينهزم وحده بين المقربين إلى يسوع أمام الميول الشريرة بل بطرس أيضاً التجأ إلى المراوغة لكي يضلل الناس عن معرفته وينجو من ورطة. وانهزم يوحنا أمام طبعه الغضوب وتعصبه وكذلك أمام كبريائه فطلب من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسوع امتياز الجلوس عن يمينه. وعاونه يعقوب في طلب المكانة الاجتماعية والقوة السياسية. "هناك بين التلاميذ ظهر الاحتكاك الذي هو طبيعي بين الطموحين وحتى في العشاء الأخير كانت أفكارهم تدور حول العروش والنفوذ". (مرقس٩: ٣٣ و١٠: ٣٧ ولوقا ٢٢ :٢٤). وبالفعل اشترك الجميع في المخاصمة على من سيكون الأعظم.

من خارج جماعة الاثني عشر نذكر زكا المغتصب الطماع المحب للمال الذي اغتصب كل درهم استطاع اغتصابه من الناس. وهناك مريم المجدلية التي كان فيها سبعة شياطين. ونذكر المرأة الخاطئة التي غسلت قدميه بدموعها ومسحتها بشعرها. ولا ننسى الزانية السامرية التي كان لها خمسة أزواج ولا المشتكين على الزانية الذين انسلوا واحداً فواحداً حينما طلب يسوع أن يرميها أولاً بحجر من كان منهم بلا خطية. حقاً لم يعلم يسوع مجموعة مثالية اجتمعت في ظروف مثالية لتسمع تعليم المعلم المثالي بل كانوا أناساً فيهم شهوات مثل شهواتنا كثيراً ما تغلبت عليهم، الكبرياء والطمع والشهوة التي كانت جميعها تهاجم حياتهم وكان عليهم أن يتغلبوا على هذه الشرور بتعاليم يسوع وقوته.

وما كان يصح في أيامهم لم يتغير في أيامنا ولا يعرف المعلم ما يمكن أن يحصل في حياة أفراد صفه لجهله أفكارهم وغاياتهم.لكنه يعرف أن الغرائز إذا لم يُكبح جماحها تؤدي ولا مفر إلى خراب الحياة. فقد تختبئ تحت منظر الصبي الجميل ميول إن لم تُضبط قد تقودها الشّهوات والطموح الجامح إلى حياة الخُزي، ووقائع الحياة تثبت ذلك بشواهدها الكثيرة. لذلك يصح على أكثرنا قول جان برادفورد لما رأى مجرماً ماراً به: "هناك لولا نعمة الله لمرّ أيضاً جان برادفورد". إذاً علينا دائماً أن نهدف في تعليمنا إلى ردع الميول الخاطئة وتطوير الأخلاق إلى ما يشبه أخلاق يسوع.

٤- كان طلابه متحيّرين:

واجه الذين علمهم يسوع مشاكل محيرة وأتوا بها إليه ليحلها. ولم يصرّحوا أحياناً بذكر المشاكل بل قدموها له على أمل إيقاعه في فخ. لكنه عرف نواياهم وقَبِلَ أسئلتهم وكثيراً ما عكس الأمر عليهم. وكانت هذه المشاكل متنوّعة تعالج نواحي عديدة من الحياة وفي الجواب عليها ساعد يسوع لا السائل وحده بل ساعد كل من يقرأ الكتاب المقدس في كل العصور. وعلى ضوء كلمة يوحنا إن العالم لا يسع الكتب اللازمة لتسجيل تعاليم يسوع كلها نظن أن هناك أموراً أخرى كثيرة أجاب يسوع عليها ولكنها لم تسجل.

قدموا له عدداً من المشاكل الشخصية الدقيقة التي أثرت على الحياة بصورة قوية فعالة. هناك طلب أخ نصيبه من الإرث رغبة في حفظ حقوقه ومقامه. ومع هذا السؤال سؤال التلاميذ وهم يسيرون في الطريق عمن سيكون الأعظم فيهم وهي مشكلة تخص طموح الفرد ورغبته في اعتراف المجتمع به وهي رغبة طبيعية وبديهية أيضاً. وسأله الشاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرئيس الغني كيف يحصل على الحياة الأبدية ويظهر أن مثل هذا ما كان يسأل عنه نيقوديموس أيضاً. وتعلقت أسئلة أخرى بلاهوت يسوع وجواز عمل الآخرين باسم يسوع، ومكان العبادة وكيفية العبادة، والقيامة، وأولى الوصايا، والصوم، وإخراج الشياطين وأمور أخرى. وبحث يسوع أيضاً في صعوبات شخصية كالتكبُّر، والغضب، والشهوة، والاهتمام الزائد بأمور الدنيا. حقاً عالج المعلم العظيم معظم المشاكل الشخصية التي تحدث الآن.

وأتوا إليه أيضاً بمشاكل اجتماعية أو ما تختص بمعاملة الفرد لغيره. سأله سمعان بطرس كم مرة يجب أن يسامح أخاً أخطأ إليه. هل إلى سبع مرات؟ (متى ١٨: ٢١-٣٥) وسأله الفريسيّون "هل يحل للرجل أن يطلّق امرأته لكل سبب؟" (متى١٩:٣) وكذلك الصدوقيون سألوه ساعين ليبيّنوا استحالة القيامة "أي من الأزواج السبعة يكون زوج المرأة في الآخرة" (متى٢٢: ٢٣-٣٣). وأتى ناموسيّ بسؤال أوسع لما حاول أن يبرر أنانيته وسأل "من هو قريبي؟"(لوقا١٠: ٢٩)

وكان سؤال آخر حرجاً، ودقيقاً جداً، في ذلك الوقت لأنه يتعلق بسياسة الدولة الرومانية الحاكمة وهو السؤال المتعلق بدفع الضرائب جاء به الكتبة ورؤساء الكهنة لما سألوا عن دفع الجزية لقيصر (لوقا٢٠: ٢٢). ثم هناك السؤال عن العمل في يوم السبت لما فرك التلاميذ القمح وهم مارون في الحقل (مرقص ٢٣:٢-٢٨). وأتى يسوع نفسه ببعض الأسئلة عن وقوع خروف في حفرة وذهاب ملك إلى معركة. وكانت هناك مشاكل أخرى عن العطاء، والصلاة والخدمة، وانتقاد الآخرين، والنقمة.

فعلى ضوء هذه الأسئلة العديدة يظهر أن يسوع قضى وقته في حل المشاكل الفردية عوضاً عن تعليم المجموع. لكن مشاكل الحياة لا تختلف كثيراً بين الناس فبينما كان يعالج مشكلة شخص كان يلقي نوراً على مشاكل غيره ومشاكلنا نحن أيضاً، لأنه كان يعالج المبادئ الأساسية أكثر من الحل المحدود. وهكذا كان مرشداً ومستشاراً فضلاً عن كونه معلماً. ولا بد من إسداء النصح لطلابنا أيضاً في مشاكلهم الحرجة إذا أردنا أن نؤدي أثمن خدمة وأكثرها حيوية لهم.

لم يكن أحد يحل المشاكل ويزيل الحيرة ببراعة كما فعل يسوع ولم يقدم أحد مبادئ أساسية مفيدة للجميع أكثر منه. فإنه متقن فن الإرشاد والهداية كما هو متقن فن التعليم.

٥-كان طلابه جهالاً:

إن قولنا أن عقول طلاب يسوع كانت مظلمة وغليظة بالإضافة إلى كونها متحيرة قد يظهر استخفافاً بهم وإهانة لهم. لكن لا بد لنا من أن نقول –إذا أردنا أن نفهم تماماً الوضع التعليمي الذي واجهه يسوع-أن تلاميذه أتوا من عامة الناس الذين مارسوا الصناعات لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المهن فلم يكن لهم الأدب والعلم اللذان تمتع بهما أصحاب المهن. وهذا النقص عرقل فهمهم إذ لم تكن عقولهم مدربة على إدراك الحق.

ولم تكن هذه العقبة الوحيدة بل كانوا يهتمون بالماديات في الحياة وبالطقوس في الدين فعرقل هذا الاهتمام فهمهم للحقائق الروحية لأن هذه "يحكم فيها روحياً". فإن الجهل ووجهة النظر المغلوطة كليهما يعرقلان عمل المعلم إذ يصعب عليه أن يتغلب على الغموض الفكري والرأي المعوج. أما يسوع فواجه الاثنين في تعليمه كما يواجههما كل معلم تقريباً. ومع أنه كان حاذقاً في توضيح الحق، نعرف من السجلات أن تعاليمه إما أنها لم تكن مفهومة قط أو أنها أسيء فهمها في أغلب الأحيان عند عامة الناس وعند قادة الدين وحتى عند تلاميذه المقربين. "إنه اختار جماعة قليلة لكي يدربهم للقيادة لكنهم لم يستطيعوا فهم المبادئ الأساسية للإيمان الذي سيعلمونه فكيف يعلمون غيرهم؟...لقد علمهم مدة ثلاث سنوات وخاب أ مله فيهم بصورة مستمرة".

ومثالاً على سوء فهمهم أنهم بالرغم مما سمعوه عن جوهر ملكوته وبالرغم من كل ما فاه به عن طبيعته الشخصية الباطنية القلبية ظلوا بالإجمال ينتظرون منه تأسيس مملكة مبنية على القوة كما يفعل الحكام العالميون. وحتى أقرب أتباعه كيعقوب ويوحنا طلبا أن يجلسا عن يمينه وعن يساره- رئيس الوزراء ووزير الخارجية!

ولا يخفى سوء الفهم لتعليمه عن القيامة- قيامته وقيامتنا. ورغم أنه قال أنه سيقوم في اليوم الثالث لم ينتظر ذلك بل دهشوا من قيامته. وكما رأينا طلب أحدهم وهو توما برهاناً قاطعاً قبل أن اقتنع. ولم يتضح لشعبه قصده من موته إذ يذكر بولس أن الصليب كان عثرة لليهود. وهو موضوع هام وبسيط للغاية.

فرغم وضوح تفكير يسوع وجلاء تعبيره فشل أذكى طلابه وأكثرهم رغبة في التعلم عن إدراك معناه. فلا نبالغ إذا قلنا أنه شعر بالفشل وخيبة الأمل طيلة خدمته العامة لأنهم لم يدركوا معنى الحقائق التي علمها. فإن كانت هذه هي الحالة مع يسوع فلا نتعجب إن حدث معنا كذلك. وإذا كان هو لم ييأس من التعليم فعلينا نحن كذلك أن لا نيأس بل أن نواظب على السعي بصبر. وكما قال يسوع لبطرس يجب أن نقول لكل تلميذ "أنت الآن..وستكون..."

٦-كان طلابه متحيزين:

تكفي مهمة يسوع صعوبة، حتى على معلم عظيم، أنه واجه تلاميذ غير كاملي النمو روحياً وخطاة حادِّي الطباع ومتحيرين وجُهَّالاً ولا نقف عند هذا الحد لأن صورة حالتهم لم تكمل بعد. كان التحامل والإجحاف يسودان على عقولهم فلم تكن هناك قابلية لفهم الحقائق التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قدمها يسوع وهضمها. ويصح هذا القول على كثيرين من طلابه وعلى أكثرهم بالنسبة إلى بعض الأمور.

غلب التحيّز على يوحنا لدرجة أنه لم يسمح لمن ليس من جماعتهم أن يُخرِج شيطاناً ويصنع خيراً (مرقس ٩: ٣٨). وكان التحيز أصل بعض الصفات السيئة المذكورة سابقاً.

في مثل الزارع كان النوع الأول من التربة الطريق أي الأرض الصلبة التي لا يدخلها شيء (متى ١٣: ٣-٢٣). فهو صورة واضحة للعقل المغلق الجاف الذي لا يعير الحقيقة المقدمة له أقل انتباه. ولا شك في أن يسوع كان يواجه أناساً لهم عقول مثل هذه لما روى المثل لأنه اعتاد التعليم المناسب للوضع الراهن. ويواجه كل معلم مدرسة أحدية عقولاً مغلقة أيضاً فسواء أكان الدرس عن التجديد أو العشور أو الاعتدال أو موضوع آخر فهناك عادات وموانع أخرى تمنع اشتراك طلابه بعقول مفتوحة. وقلما نجد مَنْ عقله وقلبه تفتّحا دون أقل تحيّز. وحقاً أن التحيز أصعب من الجهل.

حينما علَّم يسوع عن القيامة صادف احتقار الصدوقيين المتكبرين الذين يحاولون إخضاع الأبحاث الروحية لأحكام عقولهم فألقوا عليه السؤال عن المرأة التي كان لها سبعة أزواج لكي يبينوا حماقة الاعتقاد بالقيامة. وكانوا فلاسفة أيامهم المتعلمين المنتقِدِين. وحينما حاول يسوع أن يعلم الناس محبة الله لكل خليقة مهما كانت خطيّتها واجه تحيز الفريسيين المفتخرين ببرهم الذين حسبوا أنفسهم أرفع من أن يعاشروا عامة الناس. ولذا روى لهم مثل الابن الضال ومثل الفريسي والعشار عند الصلاة. وحينما ركع الشاب الرئيس الغني أمامه وطلب بتواضع أن يهديه إلى طريق الحياة الأبدية ظهر للحاضرين في بادئ الأمر أنه شخص لا يعرف قلبه المحاباة لكنه لما سمع نصيحة يسوع بأن يبيع كل ما له وأن يعطيه للفقراء وأن يتبعه تغير وجه الشاب ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مرقس ١٠: ٢٢).

إذاً واجه يسوع طلاباً متحيزين كانوا مستعدين لإملاء بطونهم وشفاء أمراضهم لكنهم لم يرضوا بما يؤخر مصلحتهم أو يغير عاداتهم في الحياة. ولا يزال العالم على هذه الحالة الآن لأن الناس يريدون الشفاء والإعفاء من العقاب الأبدي لكن إذا ذكرت لهم التوبة أو الخدمة أو التضحية تهربوا من الواجب وأهملوا الاهتمام به وذهبوا في سبيلهم. ولا يزال إقناع الذي لا يريد أن يقتنع عملاً عسيراً، والصعوبة العُظمى التي تواجه المعلمين هي العقل المغلق المتحيز.

٧-كان طلابه مُتَقلقلين:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لو استطاع تلاميذ يسوع أن يقوموا بأعمال تتناسب مع ما بذل في سبيل تعليمهم وتفهيمهم لجاءت النتائج جيدة جداً. لكنهم لم يستطيعوا ذلك لأن انحطاط الإنسان وتغلُّب أهوائه عليه يُفسِدان صفاء تفكيره ونقاء عواطفه ويُضعِفان إرادته أيضاً. ويصح هذا القول على التلاميذ كما على غيرهم. ولِذا لم يستطع البعض أن يضحُّوا بأمور دنيوية لكي يتبعوا يسوع ولا أن يتحملوا الصعوبات وخيبة الأمل التي كانت تواجههم في خدمته أحياناً. وكان اهتمامهم بخدمته يضعف أحياناً حتى أن أقرب أصدقائه كان يتردد في الاستمرار معه. فكان مثلهم مثل التربة المتحجرة والبذور التي نمت بسرعة ثم ذبلت تحت حرارة الشمس.

وما لبثت الاضطهادات والضيقات والتجارب أن قللت عدد أتباعه. قال أحدهم: "ابتدأ كثيرون باتِّباع يسوع ثم خارت عزائمهم فتركوه وحتى يسوع نفسه لم يستطع أن يَحُولَ دون تركهم إيَّاه. وبعد أن خاطب ألوف الناس وعلمهم التعليم الأعظم والأنفع مدة ثلاث سنوات لم يكن له أكثر من مئة وعشرين تلميذاً وهم بحاجة إلى تشجيعه في أيام خدمته بعد القيامة". هذه هي صورة واضحة لنتيجة خدمة أعظم معلم في العالم خلال حياته كلها! والطوائف حتى المتطرفة منها الآن تنجح نجاحاً أعظم من هذا!

هناك مثل واضح لهذا الضعف وهو الشاب الرئيس الغني الذي ذكرناه سابقاً والذي لم يتمكن– رغم فهمه واهتمامه- من أن يضحي بأملاكه لأجل المسيح. فلم يخسر أحد فرصة أثمن من هذه للشركة والخدمة والشهرة! والمثل الآخر هو بطرس الذي وعد يسوع بالمُضي معه إلى المنتهى، ولو تركه غيره، ثم أدار له ظهره وأنكره بحلف حينما واجه الجمهور الغضبان.

وشاع التراجع بين أتباع يسوع مرة لدرجة أنه التفت إلى الاثني عشر بحزن قائلاً: "ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟" (يوحنا ٦: ٦٧). وبعد الصلب رجع أتباعه الموالون إلى مهنتهم القديمة ظانّين أن لا فائدة من خدمته فيما بعد.

فإذا كان يسوع الذي يفوق كل ما نأمل أن نكونه يجد هذه الصعوبات الكثيرة في تعليمه، وإذا كان عمله قد ظهر فاشلاً من حيث النتيجة إذن يجب أن لا نتعجب إذا لم يعط عملنا النتيجة التي نريدها. وعندما تعترضنا الصعوبات في جذب اهتمام طلابنا وعندما يترك مدرسة الأحد كثيرون من طلابنا علينا أن نتذكر المعلم العظيم والصعوبات التي واجهها فنتشجع.

وإذا شعر القارئ بأن هذا الفصل يصف الحالة بحالة الجزر الشديد فليتذكر أن يسوع صبر على الصعوبات والفشل وواظب على التعليم وجعل طلابه فرقة قادرة فعالة من التلاميذ والمعلمين الذين خدموا ملكوته بصورة ممتازة. فيقول أستاذ مشهور "أعظم عجيبة في التاريخ هي التغير الذي أجراه يسوع في أولئك الرجال" فبعد أن قواهم تعليمه وقيامته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وروحه خرجوا ليغيروا العالم واستشهد عشرة منهم في سبيل ذلك. هم الذين جعلوا المسيحية تبتدئ في مجراها المسكوني. "إن قسنا عمل يسوع بمقياس ما أنتجه من ثمار لقُلنا أنه أعد أعظم جماعة من المعلمين عرفها العالم إلى الآن فهم اثنا عشر رجلاً وقد أدهشوا العالم". وسنرى في دروس مقبلة كيف أنه جعلهم هكذا أشخاصاً. إنما مطلبنا في هذا الفصل أن نرى طلابنا نحن على ضوء طلاب يسوع فنفهم مهمتنا بجلاء أوضح ونتشجع في القيام بها بأمانة.

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

كان طلابه

١-غير كاملي النمو شخصياً.

٢-حادي الطباع.

٣-خطاة.

٤-متحيرين.

٥-جهالاً.

٦-متحيزين.

٧-متقلقلين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع للبحث

١-صف طباع الاثني عشر تلميذاً.

٢-اعط بعض الأمثال التي تبين عدم نموهم الروحي.

٣-ما هي جذور الخطية النفسانية؟

٤-قابل بين صعوبات يسوع في التعليم وصعوبات معلمي أيامنا.

٥-لماذا لم يستطع طلاب يسوع أن يفهموا تعاليمه؟

٦-ابحث في أسباب التحيز والمحاباة.

٧-اعط بعض أسباب رجوع أتباع يسوع إلى الوراء وتركهم إياه.

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-ابحث في حدة طبع بطرس ويوحنا.

٢-اعط أمثالاً تبين الميول الخاطئة في أخلاق التلاميذ.

٣-ما هي بعض المشاكل التي واجهها تلاميذ يسوع؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث: أهداف يسوع في التعليم

إن الأهداف الواضحة والمحددة لمن أهم مقومات التعليم. وما أكثر المدرسين الذين يمضون في عملهم شهراً بعد شهر وليس أمامهم غاية سوى توصيل المواد المعينة لطلابهم فيفقد الدرس بين أيديهم حيويته وقدرته على التشويق! فالمعلم الذي لا يستهدف غاية في تعليمه يعوزه الإحكام والدقة ولا يفهم نسبة أجزاء الدرس بعضها إلى البعض ولا يجد مقياساً صحيحاً يمتحن به نتائج تعليمه. فيتخبّط في سيره ولا يعرف إذا كان قد وصل إلى ما يرمي إليه أم لا!

فلم تكن الحالة مع يسوع هكذا ولم يعلم اعتباطاً أو لأنه طُلِبَ منه ذلك فقط بل كان له قصد معين وغايات محددة أراد أن ينجزها. فإنه عرف أهدافه وعزم على الحصول عليها فسار دائباً نحوها غير هيّاب للعوائق والفشل. وقد أعرب عن غايته بقوله "قد أتيت لتكون لهم حياة" (يوحنا ١٠: ١٠) "فنشد تغيير حياة تلاميذه ثم بواسطتهم تغيير حياة الآخرين وتجديد المجتمع البشري". ويدخل في نطاق هذه الغاية الشاملة أهداف كثيرة.

١- خَلْق المُثُل الصَّحيحة

إن المثل العليا من أقدر العوامل الفعالة في الشخصية لبناء الأخلاق فإنها تكوّن المخطط والدليل لمسالك الحياة وتضبط إلى حد بعيد تصرف الإنسان كما وإن الدوافع الغريزية تخضع لها. وكثيراً ما يرفض الشاب أو الشابة تعاطي المشروبات الكحولية أو التدخين أو الرقص لسبب المثل التي يتمسك بها. فكان و. س اتيرن على صواب لمّا قال "إن المثل العليا هي الروافع التي ترفع الطبيعة الفطرية إلى مستوى أعلى". فإنها هي التي تحدد تأثير ميولنا العاطفية وتصميماتنا الجدية.

إن نتائج تعهدات ثلاثة مؤمنين مكرَّسين بأن يكونوا وكلاء أمناء لله بكل ما يملكونه تختلف عن بعضها البعض اختلافاً تاماً رغم تساويهم في الإخلاص وذلك لسبب مُثُل المتعهدين. فقد يعتقد أحدهم أن عليه أن يعطي حينما يشعر بالرغبة في العطاء فقط ولا يشعر بالواجب إلا عندما تتأثر عواطفه من عظة ما. بينما الثاني يعتقد بوجوب تقديم العشر لا أكثر ولا أقل مهما كان دخله. وقد يعتبر الثالث كل ما عنده ملكاً لله فيزيد نسبة عطائه إلى تسعة أعشار إذا ازداد دخله. وهكذا فإن مثل الأشخاص الثلاثة هي العامل الحاسم في نتائج تعهداتهم. وهكذا دائماً يحدد فهم الشخص ورأيه في قضية ما تصرفاته نحوها فإن الفهم الصحيح هو أساس الحياة السليمة والمعرفة الصائبة إنما هي ضرورية للتصرف المستقيم لأن المرء لا يستطيع أن يعيش على مستوى أعلى من فهمه ولذا فإن الذي يكون مثل الناس العُليا يعين إلى حد بعيد مصيرهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فمن الطبيعي والحالة هذه أن يسعى يسوع لتكييف المثل الصحيحة في الناس. فقال "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" (متى ٥: ٤٨). وشدد في الدرجة الأولى على علاقة الإنسان مع الله وسعى ليوضح لسامعه طبيعة الله وموقفه نحو البشر. فصوره كآبٍ مُحِبٍّ يضطرب لخطية الإنسان وليس كسلطان قاسي القلب غير مكترث لحاجات شعبه. وروى أمثال الدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال ليكشف عن شعور قلب الله نحو الضالين.

وكذلك لم يصور الإنسان كامل الكفاءة بذاته بل محتاجاً إلى تأثير روح الله المجدد الحياة إذا أراد أن يدخل إلى ملكوت الله. ويظهر هذا التعليم بأجلى بيان في حديثه مع نيقوديموس (يوحنا ٣: ١- ١: ١٤).

وكان يهدف إلى تكييف مثل الناس لما لخَّص في تعليمه على الجبل الصفات والأعمال التي يتَّصف بها مواطن ملكوته في حياته الخاصة والعامة. فحذّر الناس من الكبرياء والحسد والغضب والنظرة بشهوة إلى امرأة. وفضلاً عن هذا التعليم أعطى أتباعه وجهة نظر في الحياة تقوِّم تصرُّفهم وهذه هي أهم أمور الحياة.

وكان الناس يزدحمون حول يسوع لأنه قدم لهم الحقائق المغذية التي احتاجت إليها قلوبهم الجائعة لتغذي فهمهم وترشد حياتهم. ويحسُن بمعلمي المدارس الأحدية أن يقتبسوا درساً مفيداً من هذا لأن تلاميذنا سيواصلون الحضور إلى صفوفنا إذا واظبنا نحن على تقديم الغذاء الروحي لهم وكما تفعل الطيور في بقعة معينة في أوربا الوسطى فإنها تتردد بانتظام إلى هناك لأن رجلاً أوصى قبل موته بأن يقدّم لها الطعام باستمرار. وهكذا سيعود طلابنا إلى مدرسة الأحد باستمرار إذا أمنَّا لهم ما يستحق الرجوع من أجله! فإن زيادة أعضاء صف مدرسة أحدية لا ترجع إلى الذين يزورون الصف بل هي مسؤولية المعلم حيث تتوقف على تعليمه المغذي ومواظبة زياراته بيوتهم. فتعليم كهذا يجذب الشخص بقوة داخلية إلى الحضور ويعمل مع الدافع الخارجي على زيادة أعضاء إلى الصف. "فلا الحماسة الشديدة ولا القصص أو النوادر ولا طلاقة اللسان تعوض عن تقديم المعرفة المغذية".

ولما كانت الأهمية في هذه الأيام تُعطَى لحل المشاكل وللتعليم الذي يمس وقائع الحياة فلنتذكر قيمة غرس الحقائق الروحية في عقول التلاميذ وبناء مثل الحياة الصحيحة فيهم، لأن مثل الحياة الرئيسية والاعتقادات القوية ضرورية لتوحيد الحياة بحسب قول علماء النفس. "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (أمثال ٤: ٢٣).

٢-تركيز الاعتقادات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لم يقف يسوع عند إعطاء المعرفة عن الأمور الروحية والخلقية لأنه كان يدرك أن المعرفة وحدها لا تستطيع أن تتغلب على الدوافع الغريزية والبيئات الفاسدة لأن الإنسان قد يعرف شر الزنى والسكر ومخاطر القمار ومع ذلك ينقاد إلى السقوط في إحداها أو جميعها. وقد وجد أناس في بيوت سيئة السمعة وفي جيوبهم كراريس تدعو إلى الطهارة والعفة. ومرة سار رجل متمايلاً حتى وصل إلى باحة كلية وهناك شرع يقرأ ويتكلم اللغة اليونانية بطلاقة فاجتمع حوله عدد كبير من التلاميذ وعندئذ تناول قبعته بيده وطاف بها يجمع الدريهمات من المجتمعين لشراء قليل من المُسْكِر.

وقِيْلَ أنه لا تكاد تذكر سيّئة كبيرة إلا ويكون لبعض خريجي الكليات صلة أكيدة بها كما وأن خمسمائة من خريجي الكليات قد أنقذوا من حياة الانحطاط في أحياء مدينة نيويورك وبعض هؤلاء كانوا قد ذهبوا إلى تلك الأحياء ليقوموا بأعمال صالحة لرفع المستوى الأخلاقي. لا، لم يكن يسوع ليُخْدَع فيظن أن المعرفة وحدها تصلح جميع الشرور. ولما قال "تعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا ٨: ٣٢) كان يخاطب اليهود الذين قد آمنوا به وجعل التقيد بكلمته شرطاً ضرورياً لهذه الحرية.

لهذه الأسباب كان يهدف يسوع المعلم إلى تركيز اعتقادات سامعيه وليس تقديم المعرفة فقط. أو بتعبير آخر كان يهدف إلى إيقاظ الشعور وإنماء وجهات النظر. وكان قصده النهائي التأثير على الإرادة. فأدرك كما ندرك نحن ضرورة حرارة الحماس مع ضرورة نور الفهم لها ليكون تأثيرها فعالاً. وعرف حاجة الإنسان إلى الشعور بالواجب نحو الحقيقة الذي يدفعه إلى السير بموجبها.

قال و. أ سكوايرز "عالجَ الحياة بكاملها وليس الناحية الفكرية منها فقط بل غَذَّى الناحية العاطفية والناحية العقلية من حياة تلاميذه أيضاً". ولهذه الغاية سعى ليُشوِّق سامعيه للبحث في مواضيع تعليمه كما سعى لجعله غزيراً بالحقائق أيضاً. ولطالما سأل أسئلة: " ماذا تظنون؟" (متى ١٨: ١٢) "ماذا تظنون في المسيح؟" (متى ٢٢: ٤٢). وبهذه الأسئلة جذب السامعين إلى مواصلة التأمل في موضوع معين ورغبتهم فيه وقوّى اعتقادهم فيه.

وكثيراً ما كان يوجه دعوته إلى المحبة وهي الشعور الرقيق كما فعل عندما كرر السؤال على بطرس ثلاث مرات سائلاً "أَتُحِبُّني أكثر من هؤلاء؟" (يوحنا ٢١: ١٥- ١٧) وأحياناً استخدم الخوف والكره أيضاً ليرسِّخ الاعتقاد والاقتناع فشدد على الثواب والعقاب وفي بحثه في الدينونة الآتية صور البعض يُطرَحون في الظلمة الخارجية: "هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى ٢٥: ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى ضوء هذا التشديد من المعلم العظيم لا يستطيع المرء إلا أن يشعر بأن تعاليمه أثّرت على سامعيه أعمق التأثير فتركوه وهم متأكدين من أهمية الحقائق التي علمها ومقتنعين بواقعيتها لأنه خلق في سامعيه إما الاعتقاد الراسخ في ما فاه به وإما المعارضة الشديدة له.

وهنا أيضاً يحسن بنا أن نقتفي خطواته فإذا أردنا أن ننجز شيئاً من تعليمنا يجب أن يترك طلابنا الدرس مُفعمين بالإدراك الجلي لقيمة ما درسوه والعزم الأكيد على العمل بموجبه وأن هذا الإدراك والاقتناع الشديد والعزم الأكيد لأمور ضرورية لإكساب الدرس الشديد والتأثير المطلوبان في عصر يستخف أبناؤه بأكثر الأمور حتى المقدسة منها. فيجب أن يقوي التعليم الاعتقاد ويرسخه فيخلق في الشباب السلاح الداخلي الذي يمكنهم من الحياة الصالحة المفيدة في وسط بيئة شريرة.

قال البحارة لوالد رديارد كبلينغ عندما أخذ أبنه_ للتنزُّه في مركب "إن ولدك قد تسلق الحبال فأصبح فوق الماء، ولا شك في أنه سيموت إذا سقط". فأجابهم "إن ذلك الولد لن يدع نفسه يسقط". وهكذا يجب أن نقوي اعتقادات طلابنا حتى لا يسمحوا أبداً لأنفسهم بالسقوط.

٣- مصالحة طلابه مع الله

إن مهمة المعلم الأولى والعُظمى هي أن يخلق العلاقة الصحيحة بين الله الطالب أي أن يصالحه مع الله. لأن المصالحة مع الله هي العمل الديني الأساسي والأكبر شأناً في حياة الفرد. وكما أن التعليم لا يتم بدون الاستجابة إليه كذلك التعليم الديني يبقى ناقصاً إلى أن يستجيب الفرد إلى الله في الاختبار الشخصي إذ لا يمكن أن ينسجم الفرد مع ذاته أو مع غيره قبل أن يتصالح وينسجم مع الله تعالى. وهذه العلاقة الصحيحة مع الله هي الأساس الوحيد لتوحيد الحياة وتصحيحها بصورة حقيقية. وكما أن الإبرة المغنطيسية تهتز وتتأرجح إلى أن ترتكز في اتجاه الشمال هكذا يبقى الفرد قلقاً متأرجحاً إلى أن يستقر في المسيح. إذاً المصالحة مع الرب هي أساس كل بر وكل تقدم خلقي.

وينبغي أن تستوحي أعمال الحياة جميعها اتجاهها من هذه النقطة المركزية ألا وهي علاقة الإنسان مع خالقه فإن هذا الانتساب هو التكييف الأعظم في حياة كل فرد. "فروح التهذيب هو تهذيب الروح" وبالصواب قِيْل أن المشاكل الجنسية وغيرها لا يمكن حلها إلا على ضوء خوف الله ومحبتنا له ويصح هذا القول أيضاً في مشاكل ضبط النفس والاعتدال والسلم العالمي. كما قال المسيح "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم" (متى ٦: ٣٣). وأشار إلى أهمية مصالحة الفرد مع الله أيضاً لما قال "إن لم تتوبوا (أي تغيروا فكركم) فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا ١٣: ٣) ولما قال لنيقوديموس المثقف "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣: ٣). هكذا نشد المسيح أولاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مصالحة الناس مع الله، وإلى أن تتحقق هذه المصالحة في حياة طلابنا نحن تظل هذه غايتنا العظمى كمعلمين.

وهذا الاختبار الشخصي يسمى ولادة أو قيامة أو استنارة أو حصول على قلب جديد أو تغيير اتجاه في الحياة. وقد يتنوع قالبه بالنسبة إلى المزاج والعمر والثقافة ودرجة السقوط في الخطية لكنه في جميع الحالات يشتمل على مصالحة الشخصية البشرية مع الشخصية الإلهية وانسجام الاثنين في علاقة صحيحة وقد يكون هذا الاختبار هادئاً أو عنيفاً، وقد يأتي فجأة أو تدريجياً وقد يكون في الأغلب عقلياً أو عاطفياً أو إرادياً، وقد يكون الدافع الأكبر فيه الهرب من الخطية أو التمسك بالبر والصلاح لكنه في كل حال هو التسليم لله والدخول في الحياة المسيحية.

وتنتج عن التجديد دوافع جديدة ورغبات جديدة وأعمال جديدة مُعَبَّراً عنها بالآية "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك" (مرقس ١٢: ٣٠) فإن هذا هو الاختبار الذي يغير العالم كله ويجعل الهوتنتوت الإفريقي المجدَّد أقرب إلى النقطة المركزية في الحياة من الشخص المتمدن المثقف الذي لم يتصالح مع الله.

قالت أم الحاكم جوزف فولك "لم أعتز بجوزف يوم الاحتفال بتقليده منصباً رفيعاً بقدر اعتزازي به يوم انضمامه إلى كنيسة معمدانية". وعلى كل معلم مدرسة أحد أن يصلي ويعلم ويجتهد حتى يسلم كل تلميذ حياته لله بأقرب فرصة ممكنة وحتى يقول كل واحد كما قال الابن الضال "أقوم وأذهب إلى أبي" (لوقا ١٥: ١٨).

٤- تحسين العلاقة بين الناس

تحتوي الحياة المسيحية الحقيقية على العلاقة الصحيحة مع الآخرين كما مع الله. وفي الحقيقة كلا الأمرين يجمعهما الاختبار ذاته والمسيح عندما أشار إلى الوصية الأولى أضاف إلى واجب محبة الله واجب محبة الناس قائلاً "تحب قريبك كنفسك" (مرقس ١٢: ١٣). ولما علَّم عن الثواب في الآخرة أشار إلى أنه مبني على إطعام الجائع وإرواء العطشان وإكساء العريان وملاطفة الغريب وزيارة المريض والمسجون (متى ٢٥: ٣٥-٣٦). وقال يوحنا الرسول "إن قال أحد أني أحب الله وأبغَضَ أخاه فهو كاذب" (١ يوحنا ٤: ٢٠).

وعلى ضوء هذا التعليم واضح أننا نُجَدَّد كمخلوقات اجتماعية وليس كأفراد يستقل كل واحد منهم عن الآخر فعلينا أن ننسجم مع الآخرين كشأننا مع الله. وأشار هنري كينغ إلى تأثير الإيمان هذا لما قال "إن الدين مرتبط بكل علاقات البشر وميولهم وجهادهم وهو متشابك في شؤونهم جمعاء. فيجب أن نرى مجده ليس في انعزاله في برج عاجي بل في قابليته للتغلغل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الحياة وهيمنته عليها". نعم سعى يسوع لجعل الناس منسجمين مع بعضهم البعض كما سعى لمصالحتهم مع الله فينتظر منا أن نفعل كذلك.

وتحتوي مهمة تحسين علاقة الإنسان مع غيره على عدة أمور أولها تشديد يسوع على إنجيل المحبة كما ظهر في الوصية المذكورة سابقاً وكما قال أيضاً "كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً" (يوحنا ١٣: ٣٤). لأنه عرف أن المحبة الحقيقية تحطم جميع الحواجز بين الناس. وحذّر من أقل بغض قائلاً "صلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (متى ٥: ٤٤). إذ لا يمكن أن تقوم بين الناس علاقات صحيحة حيث تسود البغضاء فإنها نقطة الانطلاق لجريمة القتل. وشدد تشديداً عظيماً على السلام فقال "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون" (متى ٥: ٩). وبصدد الطهارة الجنسية قال "إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥: ٢٨).

فإن الوضع والتشديد اللذين علمهما يسوع في صدد علاقات الإنسان مع غيره يكونان عاملاً قوياً جداً في منع المسكرات وإزالة التحزُّبات العنصرية وحلّ الاختلافات بين العمال وأرباب العمل والتخلص من الحروب. فإذا كانت العلاقات السلمية تتوطد في مثل هذه الحالات فإنها لا تتوطد بواسطة السياسيين الرسميين الذين يترعون الأنخاب حول طاولات المؤتمرات بل بواسطة معلمي المدارس الأحدية وأمثالهم المنتشرين في العالم الذين يعلمون الشباب المواقف الصحيحة نحو الناس في كل مكان ومن أي لون وطبقة وطائفة.

٥-مواجهة مشاكل الحياة

لم يهمل المسيح في أثناء تعليمه مشاكل سامعيه الداخلية بل سعى لحلها ولجعل تلاميذه سعداء كاملي الشخصية. "وقد كان تعليمه بنت ساعته جوهرياً وكلياً حسب ما تدعو إليه حاجات سامعيه الظاهرة في اتصاله معهم ومحادثتهم وحوادث الساعة أو اليوم". أي أن تعليمه كان يدور حول حياة سامعيه لا حول مواد التعليم. وباستثناء التعليم على الجبل كانت معظم أقواله المسجلة موجهة نحو مساعدة أشخاص على مواجهة مشاكل معينة تعرض لهم. ولم يكن يستعمل عبارات معنوية عامة كـ"دينية" أو "روحية" أو "أخلاقية" أو "ضميرية". بل شدد على الفضائل المعينة. ومن المرجح أنه حتى في التطويبات لم يلق نصائح عامة بل كان أمامه من كانت تصارعهم مشاكل الكبرياء والرذيلة والأحزان وما شاكلها.

كما أن معلم اللغة اللاتينية المسن قال انه لم يكن يعلم اللاتينية بل كان يعلم الصبيان، هكذا لم يكن يسوع يعلّم الحقائق بل علم الناس وكانت الأسفار المقدسة ومواده الأخرى وسائل فقط لبلوغ هذه الغاية. وحتى أن الآية من الكتاب المقدس التي تشدد على وحيه تشير إلى أن الكتب المقدسة لم تكون غاية في ذاتها بل إنها "نافع للتعليم ...لكي يكون إنسان الله كاملاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

متأهباً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧). "أهدف يسوع دائماً إلى التأثير على الحياة العملية لا على الفكر فقط".

وهدف يسوع إلى حل المشاكل العملية في حياة سامعيه يظهر في كل خدمته. إنه اقتبس في تعليمه من عشرين سفراً من أصل تسعة وثلاثين في العهد القديم وكل مرة فعل ذلك لكي يجد حلاً لمشكلة أو حالة تحرج تلاميذه وتضايقهم. ولما كلم السامرية عند البئر سبر غور حياتها لكي يعرف حاجتها. وعندما جابه نيقوديموس وضع إصبعه على نقطة الضعف في حياته الفريسية وعلمه درساً عن ضرورة الولادة الروحية وطبيعتها. ولما أتى إليه الشاب الرئيس الغني وسأله عمّا يجب عمله ليرث الحياة الأبدية ألقى عليه الأسئلة حتى عرف أن ممتلكاته هي مصدر مشكلته ثم أشار إلى حل تلك المشكلة.

ولعل أبرز مثال عن اهتمام يسوع بحل المشاكل العملية في حياة سامعيه هو طلب الذي أراد أن يقول يسوع لأخيه أن يقاسمه الميراث وقدم هذا الطلب في وسط حديث هام عن عناية الله. فكان هذا الطلب في غير محله في هذه المناسبة فكان الشيء الطبيعي أن يتجاهله السيد أو أن ينتهره ثم يستأنف رسالته لكن المعلم العظيم لم يفعل هذا ولا ذاك بل لاحظ قلب الرجل الطماع فانقطع عن مخاطبة الجماهير وعلمه درساً بارك به العالم كله. وعندما وصف المزارع الغني وهو يبني مخازن أكبر و يتنعم بالخيرات أجبر ذلك الرجل الجشع على تصور جشع قلبه هو (لوقا ١٢: ١٣-١٢).

إذا كانت مدارسنا الأحدية اليوم بحاجة إلى التشديد على شيء واحد أكثر من غيره فذاك هو التشديد على التعليم الذي يدور حول مشاكل الناس العملية لا حول مواد الدرس. فليكن شعار كل معلم "التعليم الموجه للحياة العملية". فإن المعلم الذي رفض السماح لأحد تلاميذه البالغين بإلقاء سؤال بحجة أن الوقت قصير وعليه بإكمال الدرس قد أخطأ المرسى وضل عن هدف الدرس الرئيسي إذ يجب عند الضرورة أن نترك الدرس جانباً لنعالج حاجة تلامذة الصف كما يفعل كثيرون من الوعاظ. قال جورج ترويت أنه مرة كرس كل عظته لمصلحة واحد من الحضور وكانوا كثيرين، إلا أنه بعمله هذا عالج حاجات عدد كبير من الناس، كما أن المسيح قدم ما يساعد البشرية مدى الأجيال عندما ترك عظته جانباً ليعالج حاجة ذلك الرجل الطماع.

ونحن إن كنا لم نستفد شيئاً آخر من هذا الدرس عن يسوع المسيح كمعلم يكفينا منه أن نتذكر أنه علم لكي يسد حاجات الناس.

٦- إنماء الخلق البالغ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولم تقف أهداف يسوع عند الحصول على استجابة رسمية لتعاليمه ولا عند معالجة مشاكل معينة. بل كان يهدف أيضاً إلى أن ينمي في أتباعه القوات والصفات التي تمكنهم من التغلب على ضعفائهم ورذائلهم وتساعدهم على إنماء الشخصية المسيحية القوية الموحدة. ووصف تشارلس كنت أهداف يسوع هكذا "تخليص الناس من السقوط في التجارب التي تهاجم كل رجل وكل امرأة بقوة وبسرعة، ومساعدتهم للانتصار على ميولهم التي تعصف بهم، وتخليص جابي الضرائب المتعجرف من أطماعه، وامرأة الشارع من المؤثرات التي تقبض عليها بقوة لا تقاوم". وسعى أيضاً لتنمية الفضائل الإيجابية كالاستقامة والتواضع والطهارة والأريحية والحنان والتضحية والفضائل التي تؤول لنبل الأخلاق والثبات في التصرف المستقيم والفرح في الحياة. فكان هدفه لتلاميذه الحياة المحرَّرة من الخطية إلى أقصى ما تسمح به الطبيعة البشرية.

وهناك مناسبات كثيرة تثبت القول أنه كان يهدف إلى إنماء الخلق الثابت، منها فضحه عادة الفريسيين الذين يهتمون بمظاهر التدين والتقوى الخارجية بينما يعشش الرياء والنفاق في قلوبهم. فمن أوضح صوره الكلامية وصْفُه الفريسي المتعجرف المفتخر بصلاحه بصوت عال بينما كان العشار مطأطئاً رأسه يطلب رحمه الله لأنه خاطئ. كما أسقط من حسابه الصلوات والصيام والعطاء الرسمية وأشاد بأهمية مواقف القلب بدلاً منها. وحث أتباعه على أن يتجاوزوا الاهتمام بما تفرض قوانين الناموس والأنبياء الرسمية إلى الاهتمام بدوافع القلب وغاياته إذ هي أساس الخلق البالغ.

فإن الغضب في عرفه يستوجب اللوم كالقتل والنظرة الفاسقة كالزنى نفسه، وطلب من تلاميذه أن يتكلموا الصدق بدون تثبيت القسم كما لو حلفوا، وأن يرتفعوا عن النقمة حتى إلى درجة تقديم الخدّ الآخر لصفعه ثانية، وأن يحبوا أعدائهم كما يحبون أصدقائهم.

وشبه نمو المسيحي بنمو النبات "أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل" (مرقس ٤: ٢٨). فحث بطرس ليطعم الحملان والخراف الصغيرة والكبيرة (يوحنا ٢١: ١٥- ١٧). وأدرك أن "السماء لا تُنال بقفزة واحدة فعلينا أن نبني سلَّماً نصعد عليه من الأرض إلى قبّة السماء ونعلو ذروتها دورة بعد دورة".

وطلب تنمية الأخلاق الكاملة الناتجة عن اختبار روحي حقيقي كامل ثابت لما شجع تلاميذه على حساب النفقة قبل أن يتبعوه، وعلى فحص محبتهم له هل هي أقوى من محبتهم لكل شخص ولكل هدف آخر، وعلى أن يتركوا كل شيء ويحملوا صليبهم كل يوم ويتبعوه. هذا لأنه اهتم بنوعية تلمذتهم أكثر مما اهتم بكمية التلاميذ وكان يزن الناس لا يعدهم ويهتم بالنتائج الدائمة دون الوقتية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإذا كنا نريد أن نقتدي به يجب أن ندرك أن حقيقة استجابة طالب ما، هي أهم بكثير من سرعة استجابته وأن عملنا مع ذلك الطالب لم يكد يبتدئ حينما يقبل المسيح مخلِّصاً له لأن مهمتنا هي تنميته حتى يصبح إنساناً كاملاً إلى قياس قامة ملء المسيح" (افسس ٤: ١٣). وهذا قصد الذي قال "يهمُّنا أن نحافظ على الذين قد رُبِحوا إلى المسيح بقدر ما يهمُّنا أن نربح آخرين" وقصد ج.ب كامبرل بقوله "إن المعمدانيّين بشَّروا وعمَّدوا لكنهم لم يعلِّموا وأكثر متاعبهم كانت نتيجة لذلك".

٧- تدريب طلابه على الخدمة

كان هدف يسوع المعلم العظيم الأخير تدريب تلاميذه على حمل تعاليمه إلى كل أنحاء العالم وكرس معظم أيامه في الجزء الأخير من خدمته لهذه المهمة. ودربهم تدريباً جيداً جداً نتج في ربحهم، هم وأتباعهم، عدداً من الأتباع أكبر مما ربحته أية جماعة أخرى من المعلمين الدينيين على وجه الأرض. وكان تعليمهم فعالاً مع أنهم لم يكونوا من محترفي التعليم كالكتبة وأساتذة الناموس. ومع أنهم لم يتلقّوا تدريباً مهنياً اكتسبوا استعدادهم في البرهة القصيرة التي رافقوا فيها يسوع فأصبحوا أهم المعلمين في العالم، إذ أن الأحد عشر تلميذاً ثم السبعين وغيرهم سيَّروا الرسالة في انتشارها العالمي وهي لم تكف عن ذلك إلى الآن. لقد شمل تعليمهم جميع أنحاء الكرة الأرضية وغيَّر مجرى التاريخ.

وهناك عدة عوامل في تدريبه إياهم، أولها مشار إليه بقوله "هلم ورائي وأجعلكما صيادي الناس" (متى ٤: ١٩) فإنه "أقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا" (مرقس ٣: ١٤) أي أن العامل الأول والأهم في تدريبهم كان مرافقتهم ليسوع وتعلمهم منه بواسطة التمثيل به وتقليد أعماله. رأوه وهو يشعر مع الناس ويعزيهم ويشفيهم فاقتبسوا هذه الروح.

وتألف العامل الثاني في تدريبهم من الاستماع إلى تعليمه الذي لامثيل له وذلك في ظروف مختلفة وعن مواضيع عديدة. فتعلموا "بسمع الأذن". وأخيراً دربهم بإعطائهم تمريناً في التعميد ثم أرسل الاثني عشر تلميذاً في جولة تبشيرية وبعدهم السبعين للغاية ذاتها. ولما رجعوا جمعهم ليقدموا تقريراً عن عملهم لكي يشرف هو على عملهم ويرشدهم فيه.

هكذا تعلم التلاميذ وتدربوا بواسطة قدوته ثم من كلامه وأخيراً بواسطة التمرين. فلم يكن لأية جماعة من المعلمين أفضل من هذا التدريب. وحينما أصبحوا أكفَّاء للعمل أرسلهم قائلاً "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (متى ٢٨ :١٩-٢٠). ولم يسبق أن توقفت مهمة عظيمة كهذه على مثل هذا العدد القليل ولم يسبق أن أعطى عدد قليل كهذا مثل هذا الحساب الباهر عن وكالتهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونحن كمعلمين يجب أن ندرك أن تدريب الآخرين هو واحد من واجباتنا، فمن صفوفنا الحالية يجب أن يخرج معلمو المدارس الأحدية وقواد جمعيات الكنائس وعمال متطوعين لكنائس الغد. وكذلك يجب أن يخرج من هذه الصفوف قسس المستقبل ومدبرو الثقافة المسيحية وعمال بين الطلاب ومرسلون للبلدان البعيدة وقواد دينيون آخرون. ومع أن القول "إننا خلصنا لكي نخدم" لا يعبر عن الحقيقة كاملة فإنه بدون شك يجب أن يدرب كل مؤمن على الخدمة ومعلم مدرسة الأحد مسؤول عن جزء من هذه المهمة.

على ضوء ما درسناه الآن نُدهَش لسعة أهداف يسوع ومدى تأثيرها. فإنها أحاطت بكل ناحية من نواحي الطبيعة البشرية-الأفكار والمشاعر والإرادة-وأثرت على جميع علاقات الإنسان-مع نفسه ومع الآخرين ومع الله-كما شملت كل ناحية من نشاطاته-الشخصية والعائلية والكنسية والمهنية. فبالاختصار نشد يسوع "رجلاً كاملاً في مجتمع كامل" وتحقيق أهدافه هذه تعني تحقيق ملكوت الله على الأرض.

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

أهداف يسوع في التعليم هي:

١-خلق المثل الصحيحة

٢-تركيز الاعتقادات

٣-مصالحة طلابه مع الله

٤-تحسين العلاقة بين الناس

٥-مواجهة مشاكل الحياة

٦-إنماء الخلق البالغ

٧-تدريب طلابه على الخدمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع البحث

١-أظهر أهمية المثل العليا.

٢-ما الذي يضيفه الاقتناع إلى الحقيقة؟

٣-لماذا تعد الاستجابة ضرورية للتعليم؟

٤-كيف نوطد السلام في العالم؟

٥-صوِّر بعض مشاكل الحياة التي تعرض للصف الذي تدرسه.

٦-ما هي أخطاء ديانة الفريسيين؟

٧-ما هي أشد أساليب المسيح التدريبية تأثيراً؟ لماذا؟

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-اذكر شواهد من الأنجيل تبين أن المسيح كان يسد حاجات الحياة في تعليمه.

٢-بين تشديد السيد على تنمية الأخلاق.

٣-بأية أساليب درب التلاميذ على الخدمة؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابعِ: مبادئ تعليم يسوع

لا يظهر لأول وهلة أن تعليم يسوع كان مبنياً على مبدأ معين بل يظهر أنه عمل ارتجالي خال من الارتكاز على أية نظرية أساسية وذلك عكس الحقيقة تماماً لأن تعليمه لم يكن اعتباطياً وكلما درسنا عمله اتضح لنا أنه تأسس على مبادئ راسخة. ومع أنه لم يذكر ولا عدد مبادئ تعليمه فإنها تبرز إلى العيان كلما تفحصنا أسلوبه. فنلاحظ بعضها الآن.

١-كان له بعد نظر

واضح أن يسوع اختار مساعديه مستعيناً ببعد النظر فاستطاع أن يرى فيهم من علاه الإلهي ما لم يروه ولا رآه معاشروهم إذ نظر إلى إمكانياتهم الخفية. رأى في سمعان المتسرع المتطرف المتقلقل طبعاً قوياً شجاعاً راسخاً فسماه بطرس (صخرة). ورأى في يوحنا الشاب الغضوب (ابن الرعد) طبعاً حنوناً محباً يؤهله لأن يكون "التلميذ المحبوب". ورأى في الفريسي المتعجرف أو في الامرأة المنحطة إمكانيات لم يميزها غيره. وقد قِيْل "رأى الناس في زكا يهودياً صغير النفس مغتصباً أما يسوع فرأى فيه الخلق الكريم..وكذلك متى رأى الجمهور فيه عشاراً مكروهاً أما يسوع فرأى فيه ذلك الشخص العتيد أن يكتب سفراً خالداً".

وكما يرى الرسام بعين مخيلته الصورة المنتَظرة قبل أن تبرز إلى الوجود ويرى النحات شكل التمثال في الصخر قبل نحته هكذا رأى السيد في كل طالب صورة الشخصية التي يمكن أن تتكون فيه وعمل بالرجاء والصبر إلى أن حقق هذه الصورة. "لم ييأس من تغيير أي إنسان بل تمسك بالرجاء في نمو أردئهم وأضعفهم".

وانتظر يسوع تطور الأخلاق أيضاً ببعد النظر عالماً أن تكييف المثل وتشكيل وجهات النظر وتكوين العادات تتطلب الوقت لطويل. كما قال أحدهم: "لا تولد العادات مع الشخص في يوم ميلاده ولا تُخلق الأخلاق الجيدة في رأس كل سنة حينما يصمم على تحسين نفسه وأخلاقه. ومع أن الرؤية قد تلوح له، وحلم التحسين قد يستيقظ، والقلب قد يفرح بإلهام جديد في لحظة مقدسة على قمة الجبل، فإن امتحان الأخلاق الجيدة وانتصارها هما عند سفح الجبل في السهل بين الأمور اليومية العادية". ينبت الفطر في ليلة أما شجرة الأرز فتستغرق عقوداً من السنوات كما وضح يسوع في مَثَل البذار الملقَى على الأرض الذي ينمو ويصير نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل (مرقس ٤: ٢٨) ووضح أيضاً في حثه بطرس على رعاية خرافه كي تنمو فتصبح غنماً (يوحنا ٢١: ١٥-١٧).

علّم يسوع أن ملكوت الله لا يأتي بواسطة الحملات المجتاحة والظروف العاطفية الجامحة بل بواسطة عملية التعليم والتدريب المطوَّلة- "أمراً على أمر فرضاً على فرض". وهكذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فقط يستطيع المؤمن الحديث الإيمان أن ينمو إلى قياس قامة ملء الأخلاق المسيحية. وكان بعد النظر يعطي يسوع الرسوخ والصمود. "فلما سُدَّت أمامه الطريق من جهة اتجه إلى جهة أخرى بملء الصبر والطمأنينة. ولما لم يبقَ أمامه طريق مفتوحة إلا إلى الموت قبِل به بذات الروح الواثقة المطمئنّة التي اشبع بها الجماهير قرب البحيرة" لأنه لم يشك في نتيجة عمله.

وإن بعد النظر في إمكانيات طلابنا وفي ما يطلبه بنيان أخلاقهم يحفظنا من التشاؤم واليأس فلا نكون كالمبشِّر الذي حزن عند انتهاء سلسلة اجتماعات انتعاشية إذ لم يؤمِّن من الذين حضروا تلك الاجتماعات إلا بضعة صبية وكان أحدهم جورج ترويت الذي أصبح من أشهر الوعَّاظ المعمدانيين. ولا نكون كقواد الكنيسة الذين ترددوا في قبول دوايت ل.مودي إلى عضوية الكنيسة!

بل سنحسب أن هناك في كل طالب إمكانيات غير محدودة وسننظر إلى تعليمنا لا كحمل ثقيل بل كفرصة مجيدة وكالوسيلة البشرية الأكثر فاعلية في تنمية الأخلاق. وسنرى مع فان هومبولدت أن ما نريد أن يكون في مدنيَّاتِنا في الغد يجب أن نعلّمه في مدارسنا اليوم وسنتفق مع الذي قال "إن مجرى تقدم المجتمع هو معركة بين معلمي المدارس". وسندرك أن "المعلم فعلاً هو حافظ أبواب الغد".

٢-كان يشدد على المعاملة الفردية

يميل الناس في أيامنا إلى محاولة إنجاز أمورهم بواسطة الجماعات فنهتم بالأعداد الكبيرة. نقيس نجاح الراعي أو المبشر أو المعلم بالنسبة إلى عدد الناس الذين يعظهم أو يربحهم أو يعلمهم. ونسعى إلى ربح الناس كجمهور إلى الرب أو إلى عمل ما كما فعل كريكوري المنير واكسافيا وغيرهما. فإن تشديدنا هو على الجمهور لا على الفرد.

إنما هذا التشديد لا يطابق أحسن الأساليب التلقينية وقد يأتي بنتائج سطحية غير ثابتة. فإنه كان سبب اختبارات مزيفة وارتداد على ممر السنين. فإن نسبة الذين يثبتون بعد قبول الخلاص أكبر بين الذين يؤمنون خلال الاجتماعات الاعتيادية منها بين الذين يؤمنون خلال اجتماعات انتعاشية. والتشديد على الجمهور لا على الفرد هو سبب الفرق بين عدد أعضاء الكنائس وعدد الأعضاء العاملين الذين يعتمد عليهم. وهو أيضاً يؤدي في بعض الأحوال إلى الشك وترك الإيمان. قال قائد معروف مرة أن كل ملحد كان قد ادَّعى سابقاً بالإيمان الحقيقي.

أما تشديد يسوع فقد اختلف عن هذا إذ كان يشدد على المعاملة الفردية. "قضى معظم أوقاته مع الأفراد أو مع جماعة تلاميذه". ولا ينكر أنه عامل الجماهير وكانوا يتبعونه من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كفرناحوم واورشليم والمدن العشر وغير ها وكان عددهم يبلغ أربعة آلاف أو خمسة آلاف أحياناً. وكان يشعر معهم ويكلمهم ويطعمهم ويشفيهم. فظهر عمله في بعض الأوقات حركة جمهورية عظيمة ولا سيما بعد العجائب البارزة وحين دخوله المدينة كملك.

غير أنه لم يشجع اتِّباع الجماهير له بل بالحري اضطرب منه وحاول أن ينسلَّ من الازدحام وكان يردع تحمس الجمهور. فلما تبعه جمهور عظيم قال لهم أن عليهم أن يحبوه أكثر مما أحبوا أحباءهم لكي يصيروا تلاميذه (لوقا ١٤: ٢٥-٢٧) وعلم تقلقل الجمهور وتأثره السطحي وأن "الذين يباركونك اليوم قد يسبونك في الغد" ولذا لم يؤد خدمته العظمى مع الجماهير."إنه واضح أن السيد اهتم بأن تفهمه جماعة قليلة من الناس فهماً تاماً وأن تمتلئ هذه الجماعة بروحه أكثر مما اهتم بربح جماهير غفيرة إلى اتِّباعه بطريقة سطحية".

ومع علمه بقصر الوقت الذي يقدر أن يعمل فيه، وهو ثلاث سنوات ونيّف، كان يكرس أكثر ساعاته لمعاملة الأفراد. وبين مقابلاته للأفراد نجد أدهش الأمثلة على خدمته. "كان أسلوب يسوع لفداء العالم لا انتظار المناسبات الحافلة واللحظات العاطفية بل استعمال كل فرصة سانحة له في الظروف العادية البسيطة والحوادث اليومية وفي حالات كهذه كأن يقدم النفائس إلى الشخص الوحيد المحتاج".

ومن جملة الناس الذين قابلهم يسوع نيقوديموس وزكا والمرأة السامرية والتي أُمسِكت في زنا وصاحب الإرث والشاب الرئيس الغني والمحامي المنتقد وخادم الملك في كفرناحوم وآخرون كثيرون. وفي مواجهته إياهم أتيحت له الفرصة لأن يفهم حاجاتهم وينصحهم. ويشبه أحدهم قائد جمهور بشخص يرمي بدلو ماء على عدد من القناني الضيقة الأفواه ويرجو أن يدخل قليل من الماء إلى بعض القناني بينما مرشد الأفراد يعالج حالة معينة. وكان يسوع يعرف تفوق الطريقة الثانية.

يجب على المعلم اليوم أن يكون المرشد والمستشار لطلابه في حل مشاكلهم. ولذا يجب أن يكون عدد طلاب صفه مناسباً يسهل له معرفة كل فرد وحاجاته فيعلم بموجب هذه المعرفة. هناك معلم حفظ سجلاً فيه معلومات دقيقة عن كل طالب، وجمعها من والديه وأصدقائه ومعلميه في المدرسة اليومية وكان يعد كل درس على ضوء هذه المعلومات. وقال واعظ مشهور "كان جورج ترويت عظيماً حين ألقى العظة عن منبره وعظيماً حين خاطب المجمع المعمداني الجنوبي من على درج دار الحكومة في واشنطن وأعظم من ذلك لما خاطب المجمع المعمداني المسكوني في مدينة أتلانطا لكنه كان في عظمته الحقيقية لما وقف في مقبرة صغيرة في الريف وعزَّى ابنة صغيرة كانت قد فقدت أمها".

٣-كان يبتدئ بالتعليم عند مستوى فهم الطلاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لم يكن يسوع يلقي خطباً أعدت للمناسبات الرسمية بل كان في البيت وفي المجمع وعلى الجبل وقرب البحيرة يعلم بصورة طبيعية غير رسمية مبتدئاً بالأمور التي تختص بطلابه وحاجاتهم. "ابتدأ لا بالعقائد ولا بالمادة أو التقليد أو الكتاب المقدس بل بالأشخاص الحقيقيين واختباراتهم في الحياة". "لم يختر مقطعاً من الناموس أو الأنبياء ليشرح مبادئه الأساسية ومن ثم يلتفت حوله ليكتشف حاجة ما تدعو إلى تطبيق تلك المبادئ بل عالج في تعليمه الوضع البشري الراهن". فإنه قَبِل الناس كما هم ثم سعى لاقتيادهم إلى ما أرادهم أن يكونوه. وهذا الأسلوب يوافق "قانون القابلية" في التعليم الذي يقول أن الشخص يقبل نوعاً معيناً من العمل إذا كان سارا له وينزعج إذا منع عنه.

لما سأله محام عما يعمل ليرث الحياة الأبدية أشار يسوع إلى ناموسه (لوقا ١٠: ٢٥-٢٦) وفي حديثه مع الامرأة الشريرة عند بئر يعقوب ابتدأ يكلمها عن الماء أي الأمر الذي كانت تهتم به ساعتئذ، ومن ثم تقدم إلى بحث "الماء الحي" (يوحنا ٤: ١٠). ولما وقف في المجمع ليقرا وليعلن بداءة خدمته ابتدأ بقراءة المقطع المعروف من أشعياء الذي يشير إلى انتظار مجيء المسيح (لوقا ٤: ١٦-٣٠). وبهذه الطريقة جذب انتباه الناس لتعليمه وأثار رغبتهم في الاستماع. "ولم يؤخره عن مساعدة طلابه على التعليم أي برنامج رسمي أو منهاج معين".

والابتداء في التعليم عند مستوى فهم الطلاب يقضي بأن يبتدأ بالأمور المختصة بهم وبحاجاتهم كما يقتضي أيضاً باستعمال الكلمات والعبارات التي يفهمونها. وهذا هو قانون كان يشدد عليه كثيراً في الماضي ولا يزال قانوناً ضرورياً اليوم. ويقضي هذا القانون بإضافة معلومات جديدة إلى المعلومات المعروفة من قبل حتى أن الطالب يتعلم الحقائق الجديدة بواسطة الحقائق القديمة أي أنه يتقدم من المعلوم إلى المجهول، وتقديم الدرس الجديد بعبارات وأفكار معروفة سابقاً هو الأسلوب المرعي عادة في التعليم.

رأى صبي صغير صورة تمساح فلما رأى الضب سماه "تمساحاً" أي أطلق عليه الاسم المعروف لديه. وشاهدت غسالة بسيطة مهرجان ممرضات فلم يلفت نظرها إلا كثرة الثياب البيضاء للغسيل! ولما رأى صبي من الساحل (حيث لا تقع الثلوج) ثلجاً لأول مرة سماه "ريشاً" مفكراً بشيء مألوف عنده. فبما أننا نتعلم الجديد بواسطة القديم يكون استعمال اللغة والأفكار المعروفة عند الطلاب أمراً هاماً يؤدي إهماله إلى عرقلة تفهم الطالب لما نعلِّمه إياه. لذلك اعتاد يسوع استعمال كلمات عادية معروفة كالنور والخبز والملح والطعام وذكر الأمور المألوفة كالتربة والكرم والغنم والخمير.

ونلاحظ أنه أسيء فهم قصده حينما استعمل عبارة نسبها سامعوه إلى غير ما قصده الرب. مثلاً ذكر لنيقوديموس الولادة الجديدة ورغم ثقافة نيوديموس خطر له أن السيد يتكلم عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولادة جسدية. ولما تكلم يسوع عن ملكوته تصور سامعوه عرشاً أرضياً كعرش داوود وفكروا بالحكم الزمني الذي تدعمه القوة لا السيادة الروحية على القلوب. ولما قال "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه" لم يخطر ببال أحد أنه تكلم عن جسده.

إذاً من المهم أن يبتدئ المعلم باختبارات ومشاكل مألوفة لدى طلابه وأن يتأكد من فهمهم لكلماته وتوضيحاته. وأن لا يكون كالواعظ الذي قضى ثلاث دقائق في تقديم إيضاح ثم ثماني عشرة دقيقة في تفسير الإيضاح!

٤-كان يواظب على معالجة الأمور الأساسية

ليس في كل تعاليم يسوع ما يشير إلى أنه عالج أموراً ثانوية تافهة. لم يعلم مبادئ التعلم ولا تاريخ فلسطين أو جغرافيتها أو عاداتها. ولم يهتم بطرق التنظيم أو أدوات التعليم أو مواده. كما وأنه لم يقدم أنظمة عقائدية معقدة لتعليم الأجيال الآتية. فإن أقرب تعاليمه إلى نظام عقائدي هو تعليمه على الجبل الذي يقرأ في ظرف نصف ساعة فقط. وأيضاً لم يشدد على استظهار مقاطع معينة من الكتاب المقدس ولا على أسئلة البحث اللاهوتي كما فعل الكتبة في تعليمهم في المجامع بل عوضاً عن هذه الأمور عالج المعلم العظيم المشاكل الحيوية - القضايا التي كان لها اتصال مباشر بالحياة الروحية والخلقية.

وعلّم السيد أن الأمور الحاسمة في الحياة تصدر عن الغرائز الأساسية كالدافع إلى حفظ الحياة وإلى التوالد والميل إلى تقديم النفس ومصلحتها والدافع الاجتماعي. وكان يسوع نفسه قد جرب في كل هذه الغرائز تقريباً فأدرك أن خطايا المجتمع تنتج عن إساءة استعمالها وأن مشكلة الجميع هي مشكلة الطبائع البشرية. لذلك كان هدف يسوع ضبط مشاكل الحياة عند مصدرها. فأنذر أتباعه وحذرهم من روح الطمع الذي هو نتيجة سوء استعمال غريزة حفظ الحياة. ونصحهم أن يتجنبوا نظرة الشهوة التي تنتج عن الدافع إلى التوالد فشجع تلاميذه على طهارة القلب. وشجب نتيجة الدافع إلى التعالي على الغير إذ يطلب الإنسان المركز الأول ويسعى للتسلط على الآخرين. وفضح الكبرياء والافتخار وجذْب الأنظار إلى الذاتية وهي الأمور التي تنتج عن الدافع الاجتماعي. ففي مواظبته على معالجة الأمور الأساسية عاتب المعلمين الذين يقضون وقتهم في بحث الأمور الثانوية.

وفي معالجة الأمور الأساسية لم يقضِ يسوع وقت تعليمه في فضح الخطايا في عهده كما يفعل البعض إذ لم يكن يستعمل أسلوباً سلبياً قط ولم يكن إنجيله مشمولاً بالعبارة "اترك الشر". لأن تأثير الوعظ السلبي وقتي فقط كما بين يسوع بجلاء في مثل الروح النجس المطرود الذي رجع إلى البيت الفارغ واحتلّه ثانية (متى ١٢: ٤٣-٤٥). بل أدرك السيد ضرورة التعليم الإيجابي وتقديم القوة الجديدة- الحب للشيء الجديد الذي يطرد حب الأشياء القديمة. وبناء على هذا المبدأ الإيجابي حاول أن يُظهِر للوارث الطماع أن الحياة أفضل من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأملاك وللسامرية الدنيئة أن هناك شبعاً أنبل وأعظم من الشبع الجسدي. فإنه جعل الديانة أمراً قوياً حيوياً. "كانت الحياة في نظره أكثر من تكييف النفس على محيطها القريب فجعل هدفه إيجاد شخصية قوية موحدة قادرة على مواجهة أصعب امتحان". "وحسَب يسوع الديانة كيفية حياة تؤثر على كل ما يهتم الشخص به وكل ما يعمله لا أمراً منفصلاً عن بقية مهام الحياة. ولذا اعتبرها العلاقة الحيوية بين الإنسان والله".

٥- كان يعالج الضمير

حاول الكتبة والفريسيون وهم ممارسو مهنة التعليم الرسميون في تلك الأيام أن ينموا الأخلاق بواسطة القواعد الدقيقة. "فأتى المسيح إلى شعب اعتبروا الديانة قبول مجموعة معقدة من القواعد ومن الأوقات المعينة والطرق التعبدية". وكانت هذه القواعد تصف بالتفصيل كل ناحية من نواحي الحياة فكانت حملاً ثقيلاً على أكتاف الناس. كانت هناك اثنتان وأربعون قاعدة مختصة بنوع العقد المحلل في يوم السبت. فكانت الحياة الدينية والأخلاقية صعبة الاحتمال في نظام كهذا. وعلم يسوع عدم النفع من معالجة الوضع بطرق خارجية كهذه فحاول أن يحرر الناس من عبوديتها فصرخ فاضحاً إياها وقائلاً للناموسيين "تُحمِّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل" لوقا ١١: ٤٦). فاحتاج الأمر إلى تشديد إيجابي حيوي لكي يثير في الناس الرغبة في مواجهة أمور الحياة الحاسمة بطريقة مستحسنة.

وعلم السيد أيضاً كما ذكر سابقاً سطحية التصاميم المبنية على العواطف فقط بدون الاعتقادات الراسخة على أسس الاقتناع كما علم أن القصص المؤثرة المبكية والدعوات المثيرة للتعالي لا تكوِّن دوافع ثابتة فلم يستخدمها. ولم يطلب من أحد قط أن يرفع يده علامة القبول أو يوقع تعهداً أو يقف مشيراً إلى تصميمه ولم يطلب من أحد أن يعطيه يده إشارة إلى قبوله مع أنه دعا الكل إلى اتّباعه. "لم يجبر أحداً أو يأمره أو يلح على موافقته ولم يفرض تعاليمه فرضاً". لأن تصاميم الحياة في نظره أهم من أن تصمم بسرعة، لذلك أراد التصاميم الثابتة المبنية على دوافع كافية، وآثر عدم استعمال الأساليب الناقصة حتى أنه آثر عدم التصميم على التصميم المقلّد.

وجّه يسوع دعوته إلى لضمير أي إلى شعور الإنسان بالواجب الخُلُقي وتمييز الحق من الباطل. فقال للكتبة الفريسيين المُرائين "كان ينبغي أن تعملّوا هذه ولا تتركوا تلك" (متى ٢٣: ٢٣) وفي انتهاره الذي أخفى وزنته قال "كان ينبغي أن..." (متى ٢٥: ٢٧). فكان يعالج الضمير أكثر من الفكر واعتمد لنجاح أمره لا على عملية التعليم فقط بل على ضمير مستنير. فإن نتائج عمله قد بررت المبدأ وأيدته.

كان يوضح الحق ويشدد على وجوب تطبيقه فانصرف الناس عنه وفي قلوبهم الشعور بضرورة العمل بموجب تعليمه. قال أحدهم "رغم أن يسوع لم يقدم للناس نظاماً اجتماعياً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معيناً فإنه قد نجح في تغيير المجتمع أكثر من الذين حبذوا نظاماً خاصاً وذلك لأنه يعطي للإنسان ضميراً نحو المجتمع ويغير المجتمع تغييراً جوهرياً" وقول آخر "كانت ثقته بفاعلية الوسائل الخلقية أعظم مدح قُدِّم للطبيعة البشرية" وهي أيضاً أعظم مدح لتعليمه هو.

إذا أردنا أن نجعل تعليمنا فعالاً وذا نتيجة ثابتة علينا بالتشديد على هذا المبدأ أكثر فأكثر. هذا إذا كان هدفنا ربح الضالين أو دعوة المؤمنين إلى الاعتراف بوكالتهم أو دعوتهم إلى خدمة الرب. لأن الدعوة إلى الضمير تحفظ حرية الإنسان وتمنع سطحية إجابته فهي تمتاز على القواعد الدقيقة امتيازاً ملموساً. ونحن نعرف عجز الدعوة المبنية على العواطف فقط إذ قد نتج عنها الارتداد الواسع وعدم القيام بالتعهدات فتقضي الحاجة بإنارة الضمير وإيقاظه. فيجب أن لا نُلِحَّ على الناس بعمل ما لا يريدون عمله بل علينا أن نلجأ إلى التأثير على ضمائرهم وإرادتهم لأن الاستجابة للتعليم يجب أن تصدر عن الشعور بالواجب الخلقي.

٦-كان يكشف الخِصال النبيلة في الشخصية

لبعض الناس، في معاملتهم للآخرين، أساليب مُنَفِّرة تستفزُّ الذين يعاملونهم وتجرهم إلى الإجابة السلبية والدفاع عن أنفسهم ومعارضة كل اقتراح وقد تنتهي إلى عداوة صريحة بالرغم من أن هؤلاء قد يكونون من سليمي النية وطلاب الحق والإصلاح إنما تنقصهم الحكمة والتمييز ومرونة الأسلوب. ربح الكاتب رفيقه المدرسي إلى الإيمان بالمسيح فقال له رفيقه "كنت قد فعلت هذا منذ زمن طويل لو لم يحاول أن يقنعني فلان أو فلان" وقد يثير الفرد النفور في قلب شخص آخر حين يدعوه إلى حضور صف مدرسة أحدية أو اجتماع روحي أو إلى خدمة الرب أو قبول الرب مخلِّصاً. وقد ينتج هذا النفور عن فشله في فهم الآخر أو عن بعده عنه أو عن عدم الشعور معه أو عن عدم الحكمة واللطف أو عن روح نمّامة منتقِدة. فتكون النتيجة بعكس المطلوب وابتعاد من يقصد تقريبه والإضرار بعمل الرب.

أما يسوع فلم ينفر الآخرين بل كان يكشف أنبل الصفات الكامنة في شخصياتهم. فإذا كان الفريسي المفتخر ببره أو العشار الغشاش أو المرأة المنحطة كان يسوع يوجه دعوته إلى الطبيعة الجيدة في كل واحد منهم ويجذبها إلى الظهور. ولم يفعل هذا مع الأشرار فقط بل مع أتباعه الغير كاملي النمو. وهكذا كان يسوع أخصائياً في تحويل الأشخاص الذين لم تظهر إمكانياتهم الكثيرة إلى أشخاص قادرين عظماء كما فعل بالأحد عشر تلميذاً.

وقد توصل إلى ذلك باكتشافه إمكانياتهم المستقبلة وتقويتها واستغلالها وباهتمامه الشخصي بهم وبتشجيعهم على التقدم والنمو وفعل الخير. "اعتقد بأن الوسيلة لخلق الأمانة في الإنسان هي إظهار الثقة به فيسوع لم يحد عن هذا المبدأ الأساسي أبداً" فلما أشار إلى قدرة إيمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كحبة خردل، ولما قال للزانية اذهبي ولا تخطئي أيضاً، ولما دعا تلاميذه ملح الأرض كان يغرس في قلوبهم الرجاء والثقة اللذين جعلاهم يبذلون كل جهدهم في سبيل تحقيق ذلك الأمل.

ومن أهم أعمالنا كمعلمين مسيحيين أن نجد الصفات الجيدة الكامنة في طلابنا وندفعها إلى الظهور إذ ليس أحد منهم خالياً من قابلية ما للتحسن وليس أحد بدون شيء من النبل كامن فيه.

علم مدير مدرسة "إصلاحية" بخطة صبي مراده الهرب إلى بيته فأعطاه ما يكفي من مصاريف الذهاب إلى بيته والرجوع إلى المدرسة بعد عطلة الأسبوع ووثق برجوعه رغم أن الصبي وأمه صرحا بأنه سوف لا يرجع. وحقاً أنه رجع في الوقت المعين لأن المدير وثق به. علينا أن نضع ثقتنا وتفاؤلنا وتشجيعنا مقابل الشك والفشل والانهزام في حياة طلابنا وهكذا نكشف عن صفاتهم النبيلة. ولا نستطيع ذلك إذا لم نميز الإمكانيات الكامنة فيهم.

٧-كان يجعل طلابه يعملون بأنفسهم

إن إحدى قواعد التعليم السبعة المشهورة ل ج م كريكوري تنص هكذا: "أَثِرْ في الطالب الرغبة في الاشتراك بالأعمال مرشداً إياه في ذلك ولا تخبره بشيء، بإمكانه أن يتعلمه بنفسه" وهو يبني هذه القاعدة على أساس الحقيقة النفسية وهي أن العلم لا يرسخ في النفس إذا لم يرافقه مجهود فكري شخصي. قال كارليل "لا يُخلَق القديس قديساً في نومه" وكذلك العالِم! وقال آخر "يتوقف نمو الطالب لا على ما تخبره به بل على ما يفكر به نتيجة كلمتك، لا على ما تعمله لأجله بل على ما يعمله لنفسه، لا على انطباعه بل على إجابته عليه. لأنك لا تقدر أن تدخل الأفكار إلى عقل الطالب، وما كلماتك إلا رموزاً لأفكارك أنت وعلى الطالب أن يفسر تلك الرموز ويبني منها أفكاره هو. ولذا ينجح التعليم بمقدار ما يكون سبباً لعمل الطالب نفسه".

ليس على الطالب أن يجالس بدون حركة بينما يشرح المعلم بل عليه أن يحرك عقله فإنه يحتاج إلى حركة ثلاثية-عقلية وعاطفية وإرادية. فإنه يتعلم إنكار الذات فقط بممارسته ويعرف فرح العطاء فقط عندما يعطي. إذاً رواية القصص وإلقاء المحاضرات والمساعدات المنظورة لا تكفي للتعليم بل يجب أيضاً أن يتبعها البحث والتمثيل ومشاريع الخدمة لأننا جميعاً نتعلم بواسطة العمل.

علم السيد هذا المبدأ وعمل بموجبه "فلم يحل مشاكل الناس لهم بل أرشدهم وجعلهم يتّكلون على أنفسهم في حلها" كان يطبّق هذا المبدأ لما قال "إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التعليم..." (يوحنا ٧: ١٧). وطبقه أيضاً حينما شبه السماع بدون العمل ببناء بيت على الرمل وشبه السماع مع العمل ببنائه على الصخر. كما أن النقطة الرئيسية في مثل الوزنات هي أن الذي استخدم قواه أنماها والذي لم يستعملها خسرها. وفي مثل أنواع التربة علم أن نتيجة إلقاء البذار تتوقف على الإجابة التي يلتقي بها.

طلب من تلاميذه أن يعمّدوا الناس عوضاً عنه وأرسلهم ليعلموا ويشفوا المرضى. طلب منهم أن يوزعوا الخبز لإشباع الخمسة آلاف وأن يدحرجوا الحجر عن قبر لعازر. وطلب من الأعمى أن يغسل عينيه في بركة سلوام قبل أن أبصر وطلب من الرئيس الغني أن يبيع كل ما له للفقراء لكي يرث الحياة الأبدية. ومن جملة الأعمال التي طلب عملها من أتباعه "قم" "تعال" "اتبعني" "اذهب" "اغسل" "افعل" "اسهر" "قدم" "اكرز" "علم" "اعط طعاماً". فكان إنجيله إنجيل الفكر والعمل بعد السماع والشعور.

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

مبادئ تعليم يسوع هي:

١-كان له بعد النظر

٢-كان يشدد على المعاملة الفردية.

٣-كان يبتدئ بالتعليم عند مستوى فهم الطلاب.

٤-كان يواظب على معالجة الأمور الأساسية.

٥-كان يعالج الضمير.

٦-كان يكشف الخصال النبيلة في الشخصية.

٧-كان يجعل طلابه يعملون بأنفسهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع للبحث

١-بين قيمة اكتشاف إمكانيات الطالب.

٢-بين لماذا آثر يسوع معاملة الفرد على معاملة الجمهور؟

٣-ابحث في مبدأ تعلم الحقائق الجديدة بواسطة الحقائق المعلومة.

٤-ما هي الأمور الحيوية الهامة التي يجب التشديد عليها؟

٥-عرف "الضمير".

٦-كيف تستطيع إثارة رغبة الطالب في العمل لنفسه؟

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-بين أن يسوع اكتشف إمكانيات طلابه.

٢-لماذا أعطى يسوع الأهمية للمثل لا للقواعد؟

٣-كيف دفع طلابه للعمل بأنفسهم؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس: استعمال يسوع مواده

من أكثر المراحل في درسنا لذة وإنارة مرحلة درس كيفية استعمال يسوع للمواد في التعليم. وقد يساعدنا كثيراً أن نكتشف اقتراحات على ما نستعمله نحن في تلك المواد التي استخدمها هو. لأن المواد التي استعملها يسوع كانت مختلفة، ومن مصادر وأنواع عديدة، وقد استخدمها لغايات مختلفة. ولم يتقيد بمادة واحدة أو نوع واحد منها ولم يتّكل عليها إنجاح تعليمه بل كان يُدخِلها إلى نفسه حيث يحلها إلى أداة حق بواسطة روحه الخالقة.

١-مصادر مواده

هناك عدة مصادر استمد السيد مواد تعليمه منها وكان قد ألف هذه المصادر في درسه واختباراته فاستخدمها عند الحاجة. يقضي المجال هنا بالاختصار والذكر العام فقط لأن درس هذا الموضوع بالتدقيق يستلزم مجلداً كاملاً.

(١) الكتاب المقدس

لا يخفى أن يسوع استعمل العهد القديم كثيراً. يقول أحد الأساتذة أنه اقتبس منه مباشرة ثمانياً وثلاثين مرة ولمح إلى حادثة فيه أربع مرات واستعمل كلمات موازية لبعض كلماته خمسين مرة. واقتبس من واحد وعشرين سفراً من أسفاره ولا سيما من المزامير ومن سفر التثنية. وكانت أفكاره مشبَعة بروح العهد القديم وكان يعبّر عنها أيضاً بلغة العهد القديم.

كان يقتبس أحياناً مباشرة من العهد القديم كما في قوله "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله". (متى ٤: ٤وتثنية ٨: ٣) وهناك مقاطع عديدة مثل هذا. يشير أحدهم، وهو لا يحاول أن يذكر الكل، إلى ثلاثة وثلاثين اقتباساً منها اقتباسات كثيرة كانت تتنبأ مباشرة عن يسوع فأعطت تأثيراً مزدوجاً إذ كان لها مساندة العهد القديم وسلطة السيد نفسه.

وفي مناسبات أخرى ألقى تصريحات لم تختلف عن تصريحات العهد القديم اختلافاً يُذكر إنما لم يقل أنها مقتبَسة. والمثال على ذلك متى ٥: ٥ حيث قال "طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض" ونقرأ في مزمور ٣٧: ١١ "أما الودعاء فيرثون الأرض". فهنا أربعون مقطعاً موازياً نظير هذا في أقواله فالظاهر أنه كان قد استوعبها فأعطى جوهرها.

وكان في بعض الأحوال يلمّح إلى الكتاب المقدس دون أن يقتبس كلماته. فعل هذا مراراً كما نرى في قوله "ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً" مما لمعاصريه (متى ١٠: ١٥). وكما نرى في ذكره امرأة لوط التي التفتت إلى الوراء (لوقا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٧: ٣٢) عندما أنذر أتباعه عن العمل ذاته. فكان التلميح إلى الكتاب فعالاً بقدر ما كان الاقتباس المباشر.

وأشار إلى بعض المراجع التي لم نتأكد من موضعها الآن كقوله "لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب" (لوقا ٢١: ٢٢) فعلى ما يظهر كان يرى في الكتاب المقدس أكثر مما نرى نحن. وكان مطّلعاً على كتب دينية غير الكتاب المقدس أيضاً إذ نجد أقوالاً كهذا: "اغفر لجارك ذنبه إليك تغفر لك خطاياك أيضاً لما تصلي" (سفر يشوع بن سيراخ ٢٨: ٢ الأبوكريفا. انظر متى ٦: ١٢و١٤).

ويحسن بمعلمي أيامنا أن يستفيدوا من مثل يسوع فيعوّدوا أنفسهم على تاريخ الكتاب المقدس وتعليمه وكلماته ويستعملوا هذه المواد باستمرار. فإن الكتاب المقدس هو كلمة الله ويؤمن الناس به ويحبون سماعه فلا يكون لأية مادة أخرى التأثير ذاته. فاستعماله يتطلب الدرس الدقيق والتمعن وإتقان معرفة الكتاب كله لا الأجزاء التي تدرس في المدارس الأحدية فقط إذ أن الدرس والتعليم قطعة قطعة منفردة هما من أعظم ضعفاتنا.

(٢) العالم الطبيعي

يظهر من تعليم يسوع أنه كان رقيباً ثاقب النظر في قوات الطبيعة وكان يستعمل ما تعلمه منها كثيراً في تعليمه. فإنه أظهر علمه في كل ناحية من الطبيعة الأمر الذي ساعده في التعليم. كما قال ولسون "كانت كلماته المألوفة مشبعة وموسومة بجمال الأرض حوله والسماء فوق رأسه" فإنه عاش قريباً من الطبيعة واستمد كثيراً منها في سني خدمته.

شاهد في السماء فوقه الريح تهب حيث تشاء والشمس المشرقة على الأشرار والصالحين والمطر المنهمر على الأبرار والظالمين والعاصفة تصدم البيوت. وفي مملكة النبات لاحظ العلاقة الحيوية بين الكرمة والأغصان ومأساة شجرة التين التي لم تعط ثمراً ونمو القمح. وفي مملكة الطيور رأى الحمامة الوديعة، والغربان تطلب قوتاً، والعصفور يسقط على الأرض، والنسور تحوم فوق الجثة. ولاحظ بين الحيوانات الأفعى السامة، والثور في الحفرة، والثعلب يصطاد فريسته، والكلب يلحس القروح. فانطبعت هذه كلها في دماغه وأصبحت جزءاً منه فكانت تحت إمرته حين علم.

وأدْخَل هذه الأمور بصورة خاصة إلى أمثاله فهناك أربعة أمثال تختص بالحيوانات-الغنم والماعز والكلاب والنسور-وسبعة بالنبتات فيما بينها الخمير والزوان والتينة والخردل، وستة عشر تختص بأمور كالنور والتربة والشبكة والكنز المخفي. واستعمل إيضاحات أخرى كثيرة من هذه المصادر مما جعل تعليمه لذيذاً وحيوياً. ويزداد تعليم أي معلم فاعلية إذا استعمل إيضاحات مستمدة من الطبيعة، معروفة لدى السامعين، ومنتخبة بحكمة. فإنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يصعب علينا أن نتصور ما كان يسوع قد استعمله لولا هذه المادة ويصعب علينا أيضاً أن نستغني عنها نحن لا سيما في تعليم الأولاد وغيرهم من الذين يعيشون قريبين من الطبيعة. لأن الإيضاحات من الطبيعة والحياة اليومية تجذب انتباه الجماهير وهي سهلة التذكر وتؤثر تأثيراً يبقى في السامعين.

(٣) الحوادث العصرية

ولم يُغفِل المعلم العظيم الوضع الراهن في حياة معاصريه فاعتاد رؤية الكيل وجرة الماء وزقاق الخمر وإيقاد السراج ورقع الثياب وطحن القمح على الرحى وعلِم بفلس الأرملة والخصام بين الأخوة ولعب الأولاد. ومع أنه لم يستمد مواد تعليمه من تاريخ عالمي أو من فلسفة أو شعر كان يستعمل إلى درجة ملموسة حوادث أيامه ولم يفوت فرصة بل كان يغتنم فيها كل مناسبة ويستخدمها كعبرة. "وجد في الحوادث العادية في الحياة اليومية ما يعلم عن أعمق الحقائق وأكثرها تشجيعاً لقلب البشر". وجد درساً في جمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها وفي عجن السيدة العجين وزرع الزارع البذار وتنقية الكرام أغصان الكرمة وجمع الصياد السمك في الشبكة وبناء البيت ورقع الثوب العتيق برقعة جديدة واستعداد الملك للحرب.فلم يسْهَ عن شيء بل كان يحول الكل إلى الإفادة في تعليمه. "تكلم بسلطان وهو سلطان الاختبار وليس كالكتبة الذين اعتمدوا على كتابات غيرهم".

وهناك أمثال عديدة على اغتنامه المناسبات. فلما دخل الهيكل ووجد الباعة يدنسونه لم يعلم بطردهم منه درساً فقط بل استعمل الفرصة ليعلم قداسة بيت الله. ولما اتهم الفريسيون تلاميذه بكسر السبت بفركهم القمح وهم مارون في حقل اغتنم الفرصة ليقدم درساًَ عن الغاية من السبت كانوا بحاجة ماسة إليه. ولما انتقده الفريسيون على مجالسته العشارين والخطاة روى لهم أمثالاً مادية توجب البحث الجدي عن الدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال مشيراً إلى الموقف المطلوب تجاه المحتاجين إلى الخلاص.

واستخدم حوادث من خارج دائرة حياة أصدقائه فأظهر المعرفة عن حوادث العالم حوله. فلما كان يشير إلى ضرورة التوبة ذكر الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم وسقوط البرج في سلوام قاتلاً ثمانية عشر شخصاً. وفي كل حادثة قال أن هؤلاء لم يكونوا خطاة أكثر من سكان أورشليم الذين سيهلكون جميعاً إن لم يتوبوا (لوقا ١٣: ١-٥). وكان يراقب أعمال هيرودس إذ سماه "هذا الثعلب" وكان استعمال الاختبارات الحديثة يجعل تعليمه لذيذاً وفعالاً ومتأصلاً في صميم الحياة.

فنرى من هذه كلها أن منهاج التعليم لا ينحصر في كتاب الدرس والفروض فقط بل يجب أن يشتمل أيضاً على مواد أخرى فإن المعلم الحاذق في الاختراع يستمد من مصادر عديدة ما يخصب تعليمه. وكلما اتسع اطلاعه على الحوادث العصرية وكتب سيَر العظماء وكلما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أكثر من مطالعة كتب التاريخ والقصص استطاع أن يجعل الحقائق التي يعلمها جذابة وواضحة ومقنعة.

٢-القوالب التي قدم مواده فيها

إن درس القوالب التي سبك يسوع فيها مواد تعليمه لدرس لذيذ ومفيد فإنها جعلت ما قاله مؤثراً وزادت أفكاره طيبة وتأثيراً. ويدهشنا تنوع وجمال القوالب التي استخدمها. وكان يقدمها مباشرة وبصراحة فجعل الحق واضحاً ومتيناً.

(١) العبارات الحسية

كان يسوع يشدد على المثل والمبادئ ومع ذلك كان يعلم بواسطة الأمور الظاهرة الملموسة فلم يكن يلتجئ إلى الفلسفة أو النظريات أو العبارات الخيالية. ولم يكن أسلوبه أسلوب المنطق أو التحليل بل عالج مواضيعه بأسلوب وصفي مما جعل تعليمه مؤثراً. ولما كان يقدم حقيقة جديدة كان يبتدئ بالأمور القريبة منه ومنها يتطرق إلى الاستنتاجات ومع أنه قدَّم لسامعيه أفكاراً ومبادئ عامة فإنه بدأ تعليمه بالمدرَكات والأمثال المعينة عادة بموجب قانون إضافة شيء جديد إلى المعلومات السابقة فكان يتقدم من المعلوم إلى المجهول ومن الحسي إلى المعنوي ومن الأمور المادية إلى الفكرية كما يتضح لنا من استعماله للأمثال. فكان يستنتج المبادئ العامة من القضايا المعينة أكثر مما يستنتج الأمور الخاصة من العامة. وهكذا كان يبتدئ عند درجة مفهومية الناس ويقودهم صعداً إلى الفهم الأوسع ومعرفة الجديد وهذا أسلوب مستحسن في كل تعليم يُرَاد منه تقدم السامعين جميعهم.

أشار في التعليم على الجبل إلى النور واليد والباب والطريق والعنب والتين والصخور والرمل وعلى أمور منظورة أخرى. واستخدم الطيور ليعلم الاتكال على الله والولد ليبين التواضع والدينار ليعلم المسؤولية تجاه الحكومة والثور في الحفرة ليظهر ضرورة المساعدة والتينة ليشدد على عدم الثمر في الحياة وكأس ماء بارد ليعلم الخدمة. فأية عبارة توضح معنى العمل الشخصي أكثر من "صيد الناس" أو صفات الأنبياء الكذبة أكثر من "ذئاب بثياب الحملان" أو حقيقة المسيحيين أكثر من "ملح الأرض" و"نور العالم". وحتى عجائبه كانت تبين بصورة ملموسة الحقائق الروحية.

ويقتفي أحسن المعلمين خطواته في استعمال الأمور الحسية لتجعل الحق واضحاً ومؤثراً إن لم يكن لتقديم الدرس بهذا الأسلوب. لأن الأمور الحسية تجذب الانتباه وتحفظه وهي سهلة التذكر. فيحسن بنا أن نقضي وقتاً في إيجاد إيضاحات مناسبة لتعليمنا.

(٢) العبارات المأثورة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مما يجذب النظر في خطب يسوع التعليمية الرسمية كالتعليم على الجبل العبارات المأثورة المختَصَرة التي تشبه الأمثال فهي تجذب انتباه السامعين وتشتمل على الحقيقة وتبقى في الذاكرة فهي خلاصات الاختبارات الخالدة الحكمة العملية" وكان معلمو الناموس يلخصون تعاليمهم في أقوال كـ"حياة التقوى خير من النسب العريق" و"كالأم هكذا تكون البنت" و"من جعل نصيبه أفراح العالم خسر أفراح الآخرة" وكانت أقوال كهذه تصيب الهدف "بتنشيط انتباه الغافل وتهييج خيال الركيك".

ومن هذه الناحية كان كلامه أشبه بكلام الحكماء منه بكلام الأنبياء أو الشعراء فقال عميد واستمنستر "إن بحثنا في العهد القديم عن النماذج التي بنى الرب عليها كلامه نجدها غالباً لا في المزامير ولا في أسفار الأنبياء ولا في أسفار المؤرخين بل في كتب سليمان" فكانت الأمثال دارجة في الشرق وكثرت في الجو الذي تربى فيه يسوع.

وأمثال العبارات المأثورة التي تكثر في تعليم السيد أقوال كهذه: "بالكيل الذي به تكيلون يُكَال لكم" (مرقس ٤: ٢٤). و "إن واحداً يزرع وآخر يحصد" (يوحنا ٤: ٣٧) و "وحيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (متى ٦: ٢١). وهناك ما سماه البعض "جرثومة المثل" كهذا: "حيثما تكن الجثة فهناك تجمع النسور" (متى ٢٤: ٢٨) وقول آخر بديهي "من ليس معي فهو علي" (متى ١٢: ٣٠).

لسنا متأكدين من معرفة ما إذا كان الرب قد درس هذه القوال وأعدها أم أنه ذكرها ارتجالاً إنما نحن متأكدون من تأثيرها وقد رأينا تأثير الرجال الذين يستعملون أمثالها في عصرنا. فإذا كنا عاجزين عن الإتيان بمثلها فإنه بإمكاننا أن نجمعها من الآخرين.

(٣) الكلام المجازي

استعمل يسوع أكثر من عبارات حسية وأقوال مأثورة في تعليمه فإنه استعمل الأمثال أيضاً والتعابير المجازية فزاد الحق وضوحاً وتأثيراً لأن المثل يؤثر على السامع بحد ذاته ويضيف شيئاً له روعته على المعنى المقصود منه. فلما استعمل يسوع التعابير المجازية كان عمله هذا مجازفة لئلا يُساء فهمها لكنه حسب أن قيمة استعمالها توازي خطر سوء الفهم وقد لا يستطيع المعلم العادي استعمال هذا النوع من الكلام لكن متى استطاع ذلك يزيد تعليمه قيمة لأن الكلمة المجازية "تفاح من ذهب مصوغ من فضة" (أمثال ٢٥: ١١).

واضح أن يسوع استعمل الأمثال أكثر من أي نوع آخر من الكلام المجازي لكنه استخدم غيرها أيضاً. فكثيراً ما استعمل التشبيه: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا!"(متى ٢٣: ٣٧) وهناك الاستعارة أو المقابلة المطولة في تعليمه كما في قوله "أنا هو الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان" (يوحنا ١٥: ١- ١٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والتصريح بالتعجب يظهر كما في التطويبات: "يا لطوبى الأنقياء القلب فإنهم يعاينون الله!" (متى ٥: ٨). واستعمل المبالغة كقوله عن مرور جمل من ثقب إبرة (متى ١٩: ٢٤).

وكثيراً ما استعمل المقابلة: " لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض... بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء" (متى ٦: ١٩- ٢٠). واستعمل بحذاقة التناقض الظاهري: "من أراد أن يخلص نفسه يهلكها" (متى ١٦: ٢٥). ويلاحظ أحد الأساتذة استعماله أوزان الشعر العبراني إذ يظهر الوزن والموازاة والقافية. فإن إتقان الكلام المجازي على أنواعه واستعماله يكونان مساعداً قيماً للعلم.

٣- غايته من تقديم المواد

كيف استعمل يسوع المواد التي قد بحثنا فيها? هل كانت هي بذاتها محتويات تعليمه أم كانت أدوات فقط? إن هذا السؤال حيوي اليوم في الدوائر التقليدية فلننظر إلى السيد للاستنارة بهذا الخصوص. وقد أصال من قال "واجه يسوع التعليم لا بكلمة من المواد التي كان عليه أن ينقلها إلى الطلاب بترتيب معين بل بإدراكه أن أمامه أشخاصاً أحياء عاملين محتاجين فعليه أن يساعدهم في مواجهة ظروفهم وأحوالهم الواقعية".

(١) البداية

كان يبتدئ أحياناً بقول من الكتاب المقدس ثم يشرحه كما فعل في التعليم على الجبل إذ ذكر أقوال موسى عن القتل والزناء والحلف والنقمة والبغض وغيرها ثم توسع في تفسيرها و"تتميمها" (متى ٥: ٢١- ٤٨). فبين مثلاً أن القتل يشتمل على ما هو كامن في القلب وليس فقط العمل العلني وكذلك بين أن الزناء يشتمل على نظرة الشهوة وليس على الفعل فقط. فإنه مع احترامه اللائق للناموس والأنبياء تجاوزهما وأعطى المعنى الداخلي العميق.

ويحسن بنا-على ضوء احترام طلابنا للكتاب المقدس- أن نبدأ تعليمنا بأقوال منه لكي نجذب انتباههم ونرغبهم في الدرس ومن ثم ننتقل إلى تطبيقها على مشاكل الحياة العملية. وقد يعادل تأثير هذا الأسلوب الذي يبدأ بالمشكلة ومن ثم ينتقل إلى الكتاب المقدس.

واستعمل يسوع لبدء تعليمه لا أقوالاً من الكتاب المقدس فقط بل اختبارات السامعين أيضاً. لقد لاحظنا بهذا الصدد استخدامه طلب أحدهم إليه أن يقسم الإرث بينه وبين أخيه ليبدأ درساً عن الطمع، واستخدامه تمرمر البعض عن معاشرته للعشارين والخطأة ليبدأ درساً عن محبة الله للضالين، واستخدامه الشكوى بفرك القمح في السبت ليقدم درساً عن معنى السبت الحقيقي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكذلك استعمل شفاء المفلوج الذي أنزله أصدقاؤه من السطح ليشير إلى سلطانه على غفران الخطايات. واغتنم فرصة السؤال عن مجالسته للعشارين ليظهر أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى. وهذه القضايا تكوّن جزءاً صغيراً من الأمثلة التي تبين أن يسوع كان يغتنم المناسبات ليبدأ في تعليم الحقيقة. فمن أوضح تعاليمه وأبرزها التعاليم التي نتجت عن مناسبات حيوية وكثيراً ما ستكون الحالة هكذا معنا نحن أيضاً.

وتوضح لنا هذه الأمثلة أن المعلم الحاذق يستخدم مواده كوسيلة للتعليم وليس كغاية. وأن التقيد بحاجات الطلاب خير من التقيد بالدرس المطبوع. لأن الأشخاص أهم من المواد في التعليم. وليس هناك طريقة تستوجب بدء الدرس بها دائماً دون استثناء لذلك علينا أن نستخدم البداية التي توافق الدرس والظروف. وقد تستعمل الطبيعة كما فعل يسوع في أمثال التربة والزوان والخردل والخميرة والكنز المخفي واللؤلؤة التي استغل ذكرها لشرح جوهر ملكوت السماء (متى ١٣).

(٢) التوضيح

وكثيراً ما استخدم يسوع مواداً من الكتاب المقدس ومن مصادر أخرى لتوضيح قول صدر عنه قبلاً وليلقي عليه نوراً. فإن المقصود من الإيضاح هو الإنارة. فيسوع ألقى على الحقائق الغامضة نور الوحي ونور الحوادث العصرية لكي يفهم تلاميذه الحقائق. وهذا ما جعل تعليمه بارزاً وجلياً خلال العصور. وهو غاية استعماله الأمثال فأخذ من العالم الطبيعي حادثة حقيقية أو خيالية تلقي أضواء على حقيقة خلقية أو روحية.

وفي جداله مع اليهود عن السبت أشار إلى ما فعل داوود كي يوضح الحقيقة وهي أن الإنسان أهم من المؤسسات والقوانين فقال "دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط" (متى ١٢: ٤). وفي المناسبة ذاتها ولأجل زيادة النور على موضوعه قال "أما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء؟" (متى ١٢: ٥). ولما وقف في المجمع ليعلن قصد خدمته اقتبس من نبوة أشعياء ليضيء ذلك. واستخدم الحوادث العصرية للغاية ذاتها كما فعل في ذكره الثمانية عشر شخصاً الذين قُتِلوا عند سقوط برج سلوام وذكرهم لِيُشِير إلى ضرورة التوبة. وكذلك ذكر الطبيعة للإيضاح.

فإن الإيضاح المناسب يساعد كثيراً في التعليم وله قيمة عظيمة في جميع الثقافات. لأن السامع يتذكر القصة الجيدة عادة أكثر جداً مما يتذكر تصريحاً عن الحقيقة أو مجموعة من الإحصاءات أو مجادلة. لأن الإيضاح المناسب يوصل الرسالة إلى قلب السامع. وإذا كان الإيضاح من الكتاب المقدس كان أقوى وأكثر تأثيراً لمعرفة السامعين به واحترامهم له. فليس هناك مصدر للإيضاحات أغنى من العهد القديم والعهد الجديد. فيجدر بكل معلم أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يستوعب منهما كثيراً من الإيضاحات وأيضاً من التاريخ وسيَر العظماء والروايات والطبيعة والحوادث العصرية.

(٣) التقوية

استخدم السيد الكتاب المقدس ليقدِّم به درساً وليوضح الدرس واستخدمه أيضاً ليشدد على ما قد علَّمه. وفي هذه المناسبات كان يستعمله كمرجع أكثر منه مادة درس. كما أن الخطيب أو العالم يقتبس من مراجع مختلفة في خطابه أو كتابته هكذا اقتبس يسوع من الكتاب المقدس في تعليمه. ومن الطبيعي أن تقوي شهادات أناس آخرين التعليم لاسيما إذا كانوا أناساً معترفاً بهم كثقات. ونعيد القول بأن الكتاب المقدس هو خير مصدر للأقوال التي تقوّي الدرس وتشدد عليه، ذلك لاحترام الناس له.

ومن أمثلة استعماله المواد لتقوية الدرس اقتباسه من أشعياء حينما ساق الباعة من الهيكل قائلاً "مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعَى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (متى ٢١: ١٣). وفي ختام مثل الكرم والكرامين قال "أما قرأتم هذا المكتوب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية" (مرقس ١٢: ١٠). ولما أراد أن يعلمهم أن مجيئه لا يأتي بالسلام فقط بل يفرق بين أعضاء العائلة اقتبس من نبوة ميخا قائلاً "وأعداء الإنسان أهل بيته" (متى ١٠: ٣٦ وميخا ٧: ٦). ولما دعا العطاش إليه قال "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يوحنا ٧: ٣٨). وفي هذا السبيل أيضاً شرح السيد للتلميذين في طريق عمواس أقوال الكتاب المقدس عن نفسه. وهناك أمثلة أخرى عديدة لاستعماله الكتاب المقدس ليقوي تعليمه.

وتجاوز يسوع هذا واستخدم الكتاب المقدس أحياناً كسلطة نهائية كما يرفع المحامي قضيته إلى محكمة عليا أو يُسندها إلى تقرير محكمة أو إلى دستور. لأن الكتاب المقدس لم يُعتَبر قابلاً لعدة اجتهادات بل كان متأصلاً في الحق فتكلم بالسلطان النهائي. مثال على ذلك أنه أَسْكَت منتقديه بسؤاله عن داود الذي دعا المسيح "ربي" فكيف يكون ابنه ؟ (متى٢٢: ٤١-٤٥).

ولما جربه الشيطان طالباً أن يرمي بنفسه من جناح الهيكل متكلاً على الرب أجابه قائلاً "مكتوب أيضاً أن لا تجرب الرب إلهك" (متى ٤: ٧ وتثنية ٦: ١٦). ولما طلب منه أن يسجد له قال "مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى ٤: ١٠). كذلك أشار إلى الناموس كسلطة نهائية في بحثه مع الفريسيين عن الطلاق (متى ١٩: ٣-٦ وتكوين ١: ٢٧و٢: ٢٣-٢٤). فلا شيء يقوي تعاليمنا أكثر من المرجع إلى "الشريعة والشهادة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

١-مصادر مواده.

(١) الكتاب المقدس.

(٢) العالم الطبيعي.

(٣) الحوادث العصرية.

٢-القوالب التي قدم مواده فيها.

(١) العبارات الحسية.

(٢) العبارات المأثورة.

(٣) الكلام المجازي.

٣-غايته من تقديم المواد.

(١) البداية.

(٢) التوضيح.

(٣) التقوية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع البحث

١-كيف استوعب يسوع معرفته عن الكتاب المقدس؟

٢-أي أسلوب أحسن-أن يبدأ بالكتاب المقدس أو أن يختم به؟

٣-كيف نستخدم الكتاب المقدس بأكثر تأثير وفاعلية؟

٤-ما الذي يجعل للحوادث العصرية قيمة عظيمة في التعليم؟

٥-اذكر طرقاً أخرى لاستعمال الموارد في التعليم.

٦-اعط أمثلة عن الكلام المجازي.

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-اذكر ثلاثة مصادر لمواد السيد.

٢-اذكر واعط أمثلة للقوالب التي قدم يسوع مواده فيها.

٣-اشرح ثلاثة طرق استخدم بها يسوع المواد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس: تنسيق أجزاء الدرس

لم يتبع يسوع ترتيباً جامداً في تقديم دروسه ولم يحصرها ضمن دائرة اتجاه واحد ولا أخضعها لتنسيق معين بل كان يُتقن الكلَّ ويكيِّف الترتيب حسب ظروفه وغايته وأسلوبه ويستخدم الأنسب. والحادثة التي يظهر فيها بأجلى صورة منهجه في التعليم هي الحادثة التي علَّم فيها السامرية عند بئر يعقوب وسندرسها كمثال يوضح الخطوات الضرورية في تقديم الدرس ونعترف في الوقت نفسه بأنها مَثَل واحد فقط لا قاعدة نهائية.

١- المقدمة

واضح أن كل عمل تعليمي ينبغي أن يبتدئ بتمهيد ما وقد تكون البداية أهم من خطوة من خطوات تقديم الدرس لأن النجاح قد يتوقف على الجملة الأولى أو المقطع الأول. فإن لم تجذب البداية الانتباه وتثير الرغبة في الطلاب فلا شيء يفعل ذلك. إذاً علينا بالتأمل الجدي في مقدمة الدرس. ويقضي بعض المعلمين وقتاً في تحضير المقدمة أكثر مما يقضونه في أي جزء آخر من الدرس.

(١) معناها

إن مقدمة الدرس أو بدايته هي التمهيد الذي يجذب الانتباه ويوجهه نحو موضوع الدرس. ولا يعطي التعليم الفائدة المطلوبة قبل أن يحصل المعلم على انتباه الطلاب. ومن يحاول عكس ذلك يكون كمن يجر سيارة في الوضع المعاكس. فلا فائدة من شرح الدرس إن لم يلفت المعلم أنظار الطلاب أولاً ومن ثم يقدم لهم الحقيقة المرجوة من الدرس. وجذب انتباه الطلاب هو القصد الرئيسي من المقدمة.

ويتطلب جذب انتباه الطالب الاتصال بعقله وأفكاره لذلك يجب على المعلم أن يدخل إلى عالم الطالب والأمور التي تخصّه لكي يتصل بأفكاره. قال أحدهم وأحسن "يظهر الفرق بين المعلم المبتدئ والمعلم المجرب في الدقائق الخمس الأولى فإن المعلم المبتدئ ينظر أولاً إلى الدرس أما المعلم المجرب فينظر أولاً إلى الطلاب". أو بعبارة أخرى يبحث المعلم عما يدور في فكر الطالب ويبتدئ من هناك بتقديم درسه. أو كما قال آخر "إن العقل قلعة لا يستولي عليه القوي ولا الماكر إنما هناك باب يسهل الدخول منه وهو اختبار عملي في الحياة". فهناك عند الاختبار العملي يلتقي المعلم بطالبه.

ولا بد من ذكر الأساليب السخيفة لجذب انتباه الطلاب فإنها قد تفعل ذلك وقتياً إلا أنها تلهي الطالب عن الدرس وتحوِّل تفكيره إلى عمل المعلم المدهش. وكذلك القصص التي لا تناسب موضوع الدرس أو البحث في مواضيع ملذة للطلاب كالرياضة أو اللبس أو غيرهما تلهي أكثر مما تساعد في تقديم الدرس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن خير نقطة للاتصال بفكر الطالب هي الشيء الذي يهتم به الطالب أو الشيء الملذُّ في الدرس ذاته يوجه إليه الفكر. لأن حب الاستطلاع يدفع الطالب إلى الانتباه إلى الدرس. وإذا كان للمعلم لذة بالموضوع فإن لذته هو تؤثر على الطالب وتثير فيه الرغبة في تعلم المزيد عنه. قال وايغل "نفشل إن لم نرغِّب الطالب في الدرس نفسه فحاجتنا ليست إلى جعل الدرس ملذاً بإضافة القصص إليه أو بحيلة من الحيل بل حاجتنا إلى تبيان اللذة الجوهرية الموجودة فيه بجلاء" فبإمكاننا أن نبدأ بمشكلة عملية أو بأمر يهم الطالب ومن ثم ننتقل إلى ما يضيء عليه في الدرس.

ويقتضي هذا كله اقترابنا من رغبات الطلاب وحاجاتهم لأنه من المستحيل "أن نقف بعيداً ونرمي بالمعرفة إلى الطالب" وتنمو رغبات الطالب من الغرائز البديهية التي منها غريزة حب البقاء والأمن في هذه الحياة والآخرة ومنها الرغبة في الزواج والتوالد ومنها أيضاً الرغبة في القوة والسلطة وهناك اشتياق الشخص إلى المشاركة الاجتماعية واعتراف المجتمع به. فمن هذه الغرائز تتكون الحياة وهي محور الحياة.

فبإمكان المعلم أن يجذب الانتباه إلى الدرس إذا عالج الأمور الأساسية في حياة طلابه. وذلك يحتاج إلى معرفة طلابه على أكمل وجه ممكن. يجب أن يعرف ما يلتذون به وما هي هواياتهم واختباراتهم ومشاكلهم. ويجب أن يعرف شيئاً عن بيوتهم واختباراتهم المدرسية والمشاكل التي يواجهونها في عملهم وحياتهم الاجتماعية والرياضية والخلقية والروحية. عليه أن يدرس كتباً عن صفات طلاب من عمر طلابه وأن يدرس الطلاب ويعرفهم معرفة شخصية. فإن فعل هذا استطاع أن يبدأ بما يهم طلابه فيتبعونه راغبين أو على الأقل استطاع أن يبدأ بالدرس على ضوء حالتهم مبيناً المبادئ التي تطبق على ظروفهم. وفي الأسلوبين يكون قد اتصل بالطلاب في بداية الدرس.

(٢) مثل من تعليم يسوع

كان يسوع حاذقاً في الاتصال بعقل سامعيه سواء أكانوا أعداءه أم أصدقاءه والمثل الأوضح على ذلك هو بحثه مع المرأة عند بئر يعقوب (يوحنا ٤: ١-٧). كانت الظروف في ذلك الوقت غير مناسبة للتعليم وقد تعرقل تقريباً بكل عرقلة يمكن أن نتصورها. فالوقت بحسب التقويم الفلسطيني كان ظهراً وكان السيد قد مشى مسافة طويلة في الحر الشديد فأنهكه التعب و الحر والعطش والجوع وعلا جسمه الغبار فحالته الجسدية هذه كانت غير موافقة لمقابلة تعليمية. والمرأة أيضاً كانت تحمل جرة تريد أن تملأها ماء وربما كانت مستعجلة ومتأثرة من الحر أيضاً وهكذا لا تكون مستعدة لسماع أي درس. ومن جملة العراقيل أن كلّاً منهما كان يجهل الآخر وكان بون شاسع بين بِره وانحطاطها فضلاً عن أنه رجل وهي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

امرأة وهذا كان حاجزاً أيضاً في مجتمعهما. وكان هو يهودياً وهي سامرية وكان الشعبان يكره كل منهما الآخر.

كل هذه العراقيل كانت تُضعف الأمل في الاتصال والمقابلة. أما يسوع فقد تخطى هذه الحواجز كلها بمقدمة بسيطة متواضعة وطبيعية للغاية لم تثر جوانب النفور في المرأة ولم تكن أكثر من طلب شربة ماء. لم تستطع الغريبة المستعجلة والمتعصبة والخاطئة أن تغضب عند ذاك. فإن طلب يسوع تجنب كل ما يحجز بينهما وحاز انتباه المرأة فكانت مقدمة ممتازة تطرق بعدها بسهولة من الماء الطبيعي إلى "الماء الحي" ومن ثم تكلم معها بصراحة وأنجز قصده في تعليمها.

ونجد في خدمة يسوع أمثلة عديدة عن كيفية ابتدائه بالتدريس. ففي كل قضية تقريباً كان يوجه قوله إلى ما كان أولاً في فكر الطالب- إلى مهنته أو مشكلته أو حاجة يهتم لها ففي تعليمه على الجبل هنَّأ الجياع والعطاش والمساكين وأكد لهم الطوبى والبركة (متى ٥: ٣-٩). وفي اليوم الأخير العظيم من العيد نادى الجماهير العطاش "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب" (يوحنا ٧: ٣٧). وكثيراً ما أشار إلى تعاليم موسى واستخدمها ليلفت أنظار السامعين إلى تعاليمه هو. ولما انتقده الكتبة والفريسيون ابتدأ درسه بانتقادهم. وكان يحضر المناسبات الاجتماعية ويجالس العشارين والخطاة لكي يقترب منهم ويقوي علاقته بهم. واستخدم حتى العجائب ليبدأ درسه بها. ويرجح أن الجماهير تبعته لاتصاله الحيوي بهم قبلاً.

وهكذا في كل الأساليب التي استعملها للتعليم كان يبتدئ دائماً بنقطة اتصال لكي يثير الرغبة والانتباه في سامعيه. وكان يتوصل إلى ذلك بطلب أو بواسطة شيء ملموس أو سؤال أو قول وجيز أو قصة حسب ما تقضي به الحاجة لجذب الانتباه. وقد استطاع ذلك لأنه كان يعلم ما في فكر كل إنسان. أما نحن فلا نستطيع ذلك ولكن يجب أن لا تفوتنا المهمة الأولى أي المقدمة التي تجذب الانتباه وتثير الرغبة في الدرس.

٢- صلب الموضوع

بعد أن يوجه المعلم أفكار طلابه إلى الدرس يبقى أمامه مهمة عظيمة جداً وهي تركيز الانتباه ومواصلة اللذة وتقديم الحقيقة. فعليه أن يصرّح بالحقيقة المهمة وأن يوضحها ويختمها. وأن يبين الحقيقة بجلاء ويشرحها مع نتائجها بصورة مؤثرة تتغلغل في أعماق قلوب السامعين وأن يقود الطلاب إلى إدراك مبادئها وتطبيقها. فيجب أن يحتفظ بانتباه الطلاب إلى أن يكمل هذه كلها.

(١) العناصر الضرورية فيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن أساس إعداد الدرس الفعال هو فهم قوانين التعليم الرئيسية. وهي قوانين القابلية والتمرين والتأثير. أما الأول وهو قانون القابلية الذي ذكرناه سابقاً فيقول: إن الطالب المستعد لاختبار معيّن يُسَرّ بذلك الاختبار وينزعج إذا لم ينله فهذا القانون يقضي علينا باستعمال المواد المناسبة للطالب. والثاني يقول بأننا كلما كررنا شيئاً أصبح ذلك الشيء جزءاً منا إذا كانت الأمور الأخرى على سواء فهو يقتضي بالإعادة والتكرار. ويقول الثالث بأننا نميل إلى إعادة عمل ما إذا كان تأثيره مسراً لنا وأننا نميل إلى تجنبه إذا كان مزعجاً. إذاً يجب أن يسد تعليمنا حاجات واقعية. وعلى المعلم أن يعد الدرس بموجب هذه القوانين.

و عليه أيضاً أن يتذكر التمييز بين التعليم الذي ينقل أفكار المعلم إلى التلميذ دون دفعه إلى التفكير، والتعليم الذي يحث التلميذ على اكتشاف الحقائق لنفسه. فإن الطريقة الأولى تجعل الطلاب يتكلون دائماً على غيرهم بينما الطريقة الثانية تخلق القواد للمستقبل.

قبل تقديم درس ما يجب على المعلم أن يعده بعناية وهذا الإعداد لا يقل أهمية عن فهم معنى المقطع المعين من الكتاب المقدس. و الخطوة الأولى في إعداد الدرس هي اختيار الحقيقة الرئيسية أي أننا بعد التمعن في ظروف الدرس والحقائق التي فيه نختار واحدة أو أكثر يحتاج إليها طلاب الصف. ويحسن بنا أن نكتفي بحقيقة واحدة إذا أمكن لكي نشدد عليها كما في درس الرئيس الغني، لكن في بعض الدروس نحتاج إلى أكثر كما في درس التطويبات.

إن رسم الخطة للدرس يجعله واضحاً ومؤثراً ويحدد الأهداف. وطبعاً يجب أن يتناسب هدف كل درس مع أهداف السلسلة كلها. ومرة أخرى نعيد القول بأن اختيار الحقيقة التي يحتاج إليها أفراد الصف أحداً بعد أحد يستوجب أن يفهم المعلم ظروف أيامنا الحاضرة وظروف كل فرد.

ثم على المعلم أن يقدم الدرس بطريقة جذابة تجعل الطلاب يتبعون أفكاره وتجعل الحقيقة حية ومؤثرة. وهذا عمل شاق إلا أنه ضروري وهو يقتضي من المعلم فهم مواده جيداً واهتمامه القلبي بطلابه وبالحقيقة وتطبيقها. فإن التعليم مع عدم الاكتراث لنتيجته لا يؤثر على الطلاب أبداً فكأن المعلم لم يعلّم!

إن التعليم في مدرسة أحدية لهو أكثر من مساعدة الطلاب على جمع المعلومات. فإن تقديم الحقائق بأحسن وجه يكوّن عقائد الطلاب ويخلق فيهم قوة تضبط تصرفاتهم. فيتطلب والحالة هذه اليقظة وإدراك أفكار الطلاب وموقفهم وإعداد كل درس بموجبها. ويتطلب أيضاً استعمال الإيضاحات والأسئلة والمباحثة كثيراً كما يتطلب استعمال المساعدات المنظورة والتمثيل والمشاريع. ولا يخفى أن الأساليب تتغير بحسب المادة وعمر الطلاب ومقدرة المعلم والنتائج تبين الأسلوب الأفضل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويلازم المعلم الناجح المغزى الرئيسي ولا يحيد إلى المواضيع الثانوية وهذا ليس من السهل أيضاً. ولا يعني هذا أنه لا يجيب على أسئلة الطلاب إذ قد تكون الأسئلة أهم من المواد إنما يحاول أن يوجه الأفكار إلى الدرس بحيث يتبع البحث والأسئلة الحقيقة الرئيسية. فإن المعلم يلازم هذه الحقيقة ويراعي أفكار طلابه عنها. فعليه أن يلاحظ الوقت لكي لا يترك شيئاً أساسياً ويعطي لكل جزء وقتاً كافياً ولا يسرع في الختام. فمهمته إرشاد عملية التعليم لا نقل المعلومات الملذة فقط.

(٢) مثل من تعليم يسوع

فعل يسوع ما ذكرناه في توسيع درسه للسامرية (يوحنا ٤: ٧-٢٦). فبعد أن بدأ الدرس بذكره موضوع الماء الطبيعي المرغوب فيه وبعد أن حاولت أن تضله عن موضوعه بقولها أن اليهود لا يعاملون السامريين تابع يسوع درسه بقوله "لو كنت تعلمين ...لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حي" لكنها لم تفهم أيضاً فعارضت قوله قائلة إن البئر عميقة ولا دلو لك وإنك لست أعظم من أبينا يعقوب الذي حفر البئر. لكن يسوع لازم موضوع الماء وقال أن الماء الذي يعطيه هو يروي العطش إلى الأبد ويصير ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (ء ١٤). هنا وصل إلى لبِّ موضوعه وقد حصل على انتباهها ورغبتها في الفهم مع أنها حتى تلك اللحظة لم تكن قد فهمت مقصوده بل طلبت هذا الماء لكي لا تعطش أيضاً ولا ترجع لتستقي مرة أخرى.

ثم لكي يوضح لها معناه ويشدد على الناحية الروحية ويجعل التبكيت عميقاً طلب منها أن تدعو زوجها. فأجابته ليس لي زوج. قال "حسناً قلت...لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك" ومن قوله هذا فهمت أنه نبي وأنه يقترب إلى أمورها الخاصة فحاولت مرة أخرى أن تزيحه عن الموضوع فأثارت نقطة الاختلاف بين السامريين واليهود وهي موضع العبادة أفي جبلها أم في أورشليم في بلاده هو. أما يسوع فرفض أن يترك درسه وأجابها بأن العبادة الحقيقية لا تتوقف على مكان معين بل على موقف "بالروح والحق" لأن الله روح. ولما أشارت إلى مجيء المسيح الذي سيخبرهم بكل شيء أجابها "أنا الذي أكلمك هو" (ء٢٦). وهكذا جذب يسوع انتباهها ورغبتها في متابعة الحديث ورفض أن يتزحزح عن الموضوع ووضح الحق وختمه. فهو مثال ممتاز عن أطوار الدرس فيحسن بنا أن ندرسه مراراً ونقتدي بأسلوبه.

وهناك أمثلة أخرى لتنسيق يسوع صلب الدرس فهو قد استعمل هنا أسلوب المباحثة بينما استعمل في دروس أخرى أسلوب المحاضرة كما في التعليم على الجبل أو القصة كما في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا وكان يستخدم أيضاً أشياء منظورة كما فعل لما رد على شك يوحنا المعمدان بإظهار أعماله لتلميذَيه واستعمل السؤال لما سأل الفريسيين عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معمودية يوحنا والتمثيل كما في فريضة المعمودية والعشاء الرباني. فإن السيد لم يتوقف في تعليمه حتى جعل الحقيقة واضحة ومقنعة.

٣- الختام

والطور الأخير في تنسيق الدرس هو الاستنتاج أو التطبيق. ويستصعب بعض الوعّاظ والمعلمين هذه الخطوة أكثر من أية خطوة أخرى. وكثيراً ما يُهمَل إعداد الختام رجاء أن ينتهي الدرس أو العظة بالسلام! لكن الخاتمة أهم من أن تُهمَل إذ يرجح أن النقطة الأخيرة هي التي تؤثر في النفس وتبقى في الذاكرة مدة أطول.

(١) محتوياته

واضح القول أن العمل التعليمي لا يتم بتقديم المعلومات التي يشتمل عليها المقطع المعين من الكتاب المقدس لأن التوقف عند هذا الحد قد يترك عقل الطالب يتجول في بلاد بعيدة وفي عصر غير عصره، لذلك يجب شرح معنى الحقيقة حسب العصر الحاضر وتطبيقها على مشاكل أبناء الصف إذا أمكن ذلك. ويجب التشديد على هذا التطبيق. في بعض الدروس عن الأمور التاريخية أو عن مجموعة من الحقائق قد تصلُح خلاصة الدرس نفسه كخاتمة له إذ بها يعرض المعلم كل الدرس وحاجات الطلاب تحدد وتصف الخاتمة والاستنتاج ويقتضي الأسلوب المستعمل شكل الخاتمة.

ومن المهم جداً استنتاج المبدأ الأساسي الرئيسي من بين الحقائق والمبادئ المذكورة في الدرس وألا يرى الطالب أمامه مجموعة من المعلومات والحقائق غير منظمة وغير مترابطة الأجزاء فلا يفهم أساس الدرس ولا يستطيع أن يطبقه على حياته في عصرنا هذا. ففي درس شفاء يسوع في السبت مثلاً يجب على المعلم أن يشدد لا على أعمال يسوع فقط بل على اهتمامه الأساسي بالحياة الكاملة وعلى القصد من خدمة يسوع وهو أن يخدم المحتاجين إلى طبيب لا الأصحاء. وعلى معلم درس حادثة الشاب الغني أن يشدد على أهمية تقديم المسيح على الأمور المادية.

وكذلك يجب أن تطبق الحقيقة على الحياة في عصرنا الحاضر. ويتطلب هذا التطبيق معرفة المحيط والبيئة وظروف العالم أجمع وقد يكون التطبيق على حياة المجتمع أو الكنيسة. ففي درس الشفاء المذكور أعلاه ينبغي أن تكون الخاتمة ذكر خدمة الصليب الأحمر والمستشفيات والممرضات والأطباء في تخفيف آلام البشرية في مجتمعنا. وعليه أيضاً أن يطبق الدرس على حياة الطلاب الشخصية فيشير إلى مسؤولية المسيحيين في المساهمة لتمويل المستشفيات وفي تأييد الأطباء والممرضات ومسؤولية الطلاب أنفسهم أيضاً في الخدمة لا سيما في مستشفيات تقدم الشفاء الروحي مع الشفاء الجسدي. فإن أغفل المعلم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك كان فشله كبيراً في ربط الدرس بالحياة وبيان علاقته بها. وينبغي أن يكون للدرس تأثير عملي معين.

تنتج الإيضاحات المناسبة تأثيراً فعالاً في ختام الدرس إذ تحيي الحق وتؤصِّل انطباعه في النفس. وحقاً لا شيء يثير رغبة الطالب كبيان الحق في الحياة. ولا كلام يؤثر في جمع التبرعات لميتم بقدر تأثير قصة طفل أنقذ بواسطة ذلك الميتم. ولا إحصاءات ولا بلاغة تنجح في جمع تبرعات لنشر الإنجيل في العالم كما تنجح رواية حادثة من اختبارات لفنغستون أو جودسون أو غيرهما من الرسل العظماء وهكذا الحالة مع المستشفيات والتبرعات للاجئين والمنكوبين. إذاً تكون الفائدة من الدرس أعظم عادة إذا خُتِمَ بإيضاح يجلي الحق ويحث على العمل بموجبه. ولهذا كان يسوع يستعمل الأمثال.

(٢) عادة يسوع في ختام التعليم

وإذ رجع التلاميذ إلى البئر أثناء قول السيد للسامرية أنه هو المسيح المنتظَر لم يختم الدرس لكنه كان قد بلغ قمة تعليمه لها فانتهى الدرس بنتيجة مرضية إذ تركت جرتها ناسية قصدها من المجيء إلى البئر وأسرعت إلى المدينة تشهد له. ومن هذا يظهر أنه كان قد اقتادها إلى الخاتمة المنشودة من الناحية الفكرية ومن حيث موقفها وإجابتها وهذه هي براهين الختام الناجح. وفي هذه الحالة لا لزوم لختام رسمي.

أما في قضية المحامي المستفهم فقد ختمها يسوع بختام عملي معين إذ بعد أن شدد على ضرورة محبة القريب كالنفس وبعد أن وضح معنى هذه القرابة بقصة السامري الصالح سأل المحامي قائلاً أيُّ المارة الثلاثة صار قريباً للجريح. ولما أجابه المحامي قائلاً الذي صنع معه الرحمة قال له يسوع "اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا" (لوقا ١٠: ٣٧). وهكذا لم يستنتج الحقيقة فقط بل طبقها على الرجل تطبيقاً معيناً وشخصياً. لم يكن يترك طلابه متحيرين فيما عسى أن يكون معنى الدرس!

وتشبه هذه الحادثة معاملة السيد الشاب الرئيس الغني. فبعد أن ذكر له بعض الوصايا العشر واكتشف نقطة ضعف الشاب وشخَّص حاجته قال "يعوزك شيء واحد. اذهب بع كل ما لك واعط للفقراء...وتعال اتبعني" (مرقس ١٠: ٢١). وكان ختامه هذا معيناً وواضحاً ومناسباً لحاجات الشاب. ثم التفت إلى الجمهور وشدد على الحقيقة الرئيسية أيضاً قائلاً "ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله!" (مرقس ١٠: ٢٣). كان المعلم العظيم دائماً يصل إلى النقطة الرئيسية.

ويجدر بنا في ختام هذا الفصل عن تنسيق أجزاء الدرس أن نذكر باختصار امتحان نتائج التعليم لأن هذا أيضاً جزء من العمل التعليمي. وهناك عدة أنواع من الامتحانات. منها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأسئلة والأجوبة ومنها إعطاء بضعة أجوبة على سؤال واحد وتكليف التلميذ اختيار الجواب الأنسب منها. ومنها إيراد معلومات يفترض على التلميذ أن يجيب عنها بكلمة "صح" أو "غلط". ومنها ملء الفراغ في آية أو جملة محذوف منها كلمة أو أكثر ومنها امتحان مواقف الطلاب لا معلوماتهم فقط. وبإمكاننا أن نعرف نتائج الدرس من مشاهدة حياة الطالب ومن ملاحظات والديه ومعلميه عن تصرفه.

لا يظهر أن يسوع كان يمتحن نتائج تعليمه كثيراً إلا أنه كان يسعى بطرق مختلفة لمعرفة تلك النتائج. فسأل تلاميذه مرة "وأنتم من تقولون أني أنا؟" (متى ١٦: ١٥). وأراد بهذا السؤال أن يعرف مقدار فهمهم وتقدمهم. وقال في مناسبة أخرى "من ثمارهم تعرفونهم" (متى ٧: ١٦). فيظهر أنه كان يراقب تأثير تعليمه في حياة سامعيه. ونعرف أنه استمع إلى تقارير السبعين تلميذاً بعد رجوعهم من جولتهم التبشيرية (لوقا ١٠: ١٧). ويذكر أيضاً العلامات أو الثمر الذي يبرهن على حقيقة المؤمنين به. فعلينا نحن أيضاً أن نمتحن نتائج تعليمنا لكي نتأكد من نجاحه.

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

١-المقدمة.

(١) معناها.

(٢) مثل من تعليم يسوع.

٢-صُلْب الدرس.

(١) العناصر الضرورية فيه.

(٢) مثل من تعليم يسوع.

٣-الختام.

(١) محتوياته.

(٢) عادة يسوع في ختام التعليم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع للبحث

١-اذكر نواحي الدرس غير التي ذكرت.

٢-اشرح استراتيجية يسوع مع السامرية.

٣-كيف تنسق أجزاء درسك؟

٤-اذكر دروساً أخرى من تعليم يسوع واشر إلى تنسيقها.

٥-ما هو خير ختام للدرس؟

٦-ما هو أنسب امتحان لنتائج التعليم؟

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-اشرح عناصر مقدمة الدرس.

٢-ابحث في درس يسوع للسامرية.

٣-ما هي المطاليب لختام الدرس؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع: بعض أساليب يسوع في التعليم

هل درس السيد أساليب التعليم واستعملها عن قصد؟ إننا لا نستطيع أن نتأكد من هذا ولكن من المرجح أنه لم يفعل ذلك، إنما لا شك في أنه أتقن هذه الأساليب كما يظهر لنا من حذقه استعمالها بديهياً حسب دواعي الظروف والحاجة. وكيفما اكتسبها فإنه فريد في تعليمه ولا مثيل له في استعمال الأساليب. وقد استخدم جميع الطرق المستعمَلة اليوم أو على الأقل مبادئها الأصلية. وسنلاحظ بعضها في هذا الدرس.

١-الأشياء المنظورة

مع أن يسوع لم يستعمل الأشياء المنظورة بقدر ما استعمل أساليب أخرى فإنه استخدم مبدأ هذا الأسلوب ليجعل الحقيقة واضحة وملموسة لدى سامعيه. وهناك عدة أمثلة مفيدة عن استعماله الأشياء المنظورة.

(١) طبيعتها وقيمة استعمالها

نستخدم الأشياء المنظورة التي ترمز إلى الحقيقة أو تلمّح إليها ومن جملة هذه الأشياء النماذج والصور والرسوم والخرائط وأمثالها. فإن نموذج فلك نوح أو خيمة الاجتماع أو منظر في بلاد أخرى تساعد كثيراً في إحياء الدرس وتوضيحه. وكذلك الصور أو الرسوم على اللوح تزيد فاعلية الدرس عن الكتاب المقدس أو عن عمل التبشير في بلاد أخرى.

ما أعظم الفرق مثلاً بين ما تعلمه الطلاب من نموذج النظام الشمسي المبين الشمس والأرض ونسبة الواحدة إلى الأخرى، وما تعلموه من التفسير المعنوي القائل "إن تغييرات الفصول في السنة تنتج عن انحناء محور الأرض نحو سطح دائرتها وعن دورانها حول الشمس!"

لكن يشك في فائدة الرموز التي من نوع استعمال رغيف خبز ليرمز إلى المسيح خبز الحياة وكتغيير لون الماء بواسطة المواد الكيماوية ليرمز إلى تطهير القلب لأن الأولاد قد يخلطون الرمز مع الحقيقة.

تنتج قيمة الشيء المنظور عن جذبه النظر وعن توضيحه الدرس. لأن تقديم الحقيقة للعين هو أفعل جداً من تقديمها للأذن في كل مناسبة تقريباً ويعتقد البعض بأن أكثر من ثمانين بالمئة من معرفتنا تأتي عن هذه الطريقة. ونحن نتذكر ما نراه أكثر مما نتذكر ما نسمعه بدون استثناء. عرف الكاتب معلماً غير مقتدر في التعليم ولكنه علم درساً لم ينسه الكاتب إذ رسم على اللوح سلماً ضيقاً عند أسفله وواسعاً عند رأسه وهكذا علم طلابه بأنه كلما صعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان درجات الثقافة اتسعت الفرص أمامه في الحياة. فيحسن بكل معلم أن يسعى للحصول على الحذاقة في استعمال اللوح.

قال الأستاذ بيل "نتكلم عن المبادئ العامة في الوقت الذي يجب فيه إظهار الملموس. وكثيراً ما يقضي المعلم نصف ساعة في تفسير ما كان بإمكانه أن يوضحه في ظرف ثلاث دقائق بواسطة قطعة من الورق وقلم وعلامتين أو ثلاث علامات... فإن كان العضو التابع للكنيسة التقليدية مقتنعاً بعقائده أكثر من البروتستانتي فذلك لأن الأول قد رأى بعينيه ولمس بيديه ما تُرِك لخيال البروتستانتي لكي يتعلمه"

(٢) استعمال يسوع لهذه الأشياء

من أبرز مناسبات استعمال يسوع المنظور ليعلم درساً كان إيقافه الولد في الوسط لكي يعلم موقف من يدخل ملكوت الله (متى ١٨: ١-٤). كان التلاميذ يعتبرون الملكوت مملكة ذات درجات ورتب، فيها يتقدم الشخص الوجيه ويعترف الآخرون به فكان الطموح الأناني يستولي على أفكارهم. لذلك أخذوا يتساءلون فيما بينهم عمن سيكون الأول. ومن ثم وجهوا السؤال إلى المسيح: "فمن هو أعظم في ملكوت السموات؟" (ع١). وعلى ما يظهر لم يشرح يسوع موضوعه ولم يبحث فيه بل نادى ولداً وأوقفه أمامهم. ولما رأوا البساطة وعدم الأنانية والتواضع الظاهرة فيه أخبرهم يسوع بأن عليهم أن يرجعوا ويصيروا مثل الولد قبل أن يدخلوا الملكوت. ثم قال "فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات" (ع٤). وكان هذا أعظم درس للبشرية عن شر الكبرياء وقيمة إنكار الذات.

ولنا أيضاً مثل غسل أرجل التلاميذ (يوحنا ١٣: ١- ١٥). كانت عادة الناس في تلك الأيام أن يلبسوا الصندل ومن الطبيعي أن الغبار كان يغطي أقدامهم وهم يمشون في الطرق. فاعتاد خادم البيت أن يستقبل الضيف بمغسل ماء ومنشفة ويغسل قدميه وينشفهما. وفي هذه المناسبة لم يكن هناك خادم فأخذ السيد صفة الخادم وغسل أرجل التلاميذ ونشفها. فعل ذلك بطريقة طبيعية لكي يسد الحاجة بواسطة هذا العمل البسيط فأظهر وقار الخدمة الوضيعة وعظمتها. وكان عمله المثل الأسمى على ما يقدر أي إنسان آخر أن يفعل في ظروف مشابهة. كان درساً منظوراً عن التواضع وكان من أكثر دروسه تأثيراً. فختم الدرس بقوله "فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (ع١٤-١٥).

وفي مناسبة أخرى جرَّبه ممثلوا الفريسيين والهيرودسيين بالسؤال عن قانونية تقديم الجزية لقيصر. فلم يتأخر ولم يجادل بل طلب معاملة الجزية فناولوه ديناراً فرفع الدينار أمامه وسألهم "لمن هذه الصورة والكتابة؟" فأجابوه "لقيصر" فقال لهم "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (متى ٢٢: ١٥-٢٢). وهكذا بواسطة الشيء المنظور حقق عملين: الأول جذب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

انتباه الناس بأسلوب رائع. والثاني هو اغتنام الفرصة ليعلم مسؤولية دفع الضرائب لأن المعاملة هي للحكومة ومسؤولية العطاء لله أيضاً لأن كل ما لنا هو منه وله. فلا قول آخر من أقوال يسوع كهذا القول الذي يستشهدون به كثيراً.

وفي حين آخر أعطى تعليمات للاثني عشر أن ينفضوا غبار أرجلهم عندما يتركون مدينة أو بيتاً لم يقبلهم في عملهم التبشيري وذلك إشارة إلى إكمالهم واجبهم نحو هذه البلدة التي لم يبق لها أي حق عليهم (متى ١٠: ١٤). وكان شفاء يسوع للمفلوج الذي حمله أربعة رجال برهاناً منظوراً عن قدرته على مغفرة الخطايا في وجه تهمة الكتبة بأنه قد جدف لأن الله وحده يغفر الخطايا (مرقس ٢: ٦-١٢). فإن استطاع أن يشفي المفلوج استطاع أن يغفر الخطايا لأن هذا العمل ليس أصعب من الأول. وهكذا بين لاهوته بشفاء العمي والعرج وغيرهم لما أتى تلميذا يوحنا المعمدان ليسألا أهو المسيح أم لا (متى ١١: ٢-٦).

فلنا أمثلة عديدة عن استعمال يسوع المنظورات لجعل تعليمه جذاباً وواضحاً ومؤثراً. فإنه قدم أحسن تعاليمه هكذا. ونستطيع نحن أن نفعل كذلك إذا أردنا، فبإمكاننا أن نستعمل اللوح واليافطات والصور للإفادة العظيمة.

٢-التمثيل

استعمل المسيح التمثيل كثيراً في تعليمه إما بطريقة رسمية أو غير رسمية. وقد زاد مُعلِّمو الديانة استعمال التمثيل أيضاً في السنين الأخيرة وقد أُلِّفت عدة كتب في هذا الموضوع وتهيئ بعض الكنائس أدوات وموظفين مخصصين لهذا الأسلوب لأنه طريقة فعالة جداً للتعليم.

(١) معنى التمثيل ونطاقه

يعني التمثيل إعادة مشهد أو عمل وقد يكون مشهداً تاريخياً أو عصرياً. أي أن التمثيل هو السعي لتصوير المشهد بظروف مناسبة له كما حصل أولاً على أقرب شكل ممكن له. إذاً هو عمل تقليدي مكرر. لكن كلمة "تمثيل" تستعمل أيضاً لتقديم حقيقة جديدة إذ يمثل المعلم الحقيقة بصورة عملية. وقد يستعمل التمثيل لتقديم حوادث من الكتاب المقدس وأعمال تبشيرية ودروس أخلاقية وغيرها فإن كل تعليم يحتوي على شيء روائي.

ولأسلوب التمثيل في التعليم قيمة وفائدة لمن يشترك فيه ولمن يشاهده أيضاً. أما المشترك أي الممثل فعليه أن يدرس دوره ويضع نفسه في موضع الشخص الذي يمثله وهكذا يستخدم فكره وخياله وعواطفه وإرادته فيُثَار فيه الشعور مع الشخص الذي يمثله والاهتمام به وبغاياته. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يتعلم بواسطة العمل، والعمل ذو فاعلية أكثر من المحاضرة أو التسميع في التعليم. وهكذا فإن التمثيل طريقة للتعليم. وكذلك المشاهد يتعلم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بسهولة لا يتسنى له مثلها بواسطة المحاضرة أو التسميع. لأن التمثيل يقدم الحقيقة للعين وللأذن ويستخدم الملابس والألوان أيضاً وبذلك يوضح ويشدد على الحق بطريقة فعالة جداً يمكن جعلها مناسبة لجميع الأعمار إذ أن روح اللعب جذابة للجميع.

وهناك عدة طرق للتعليم بواسطة التمثيل. قد تقدّم تمثيلية رسمية بعد التصميم والاستعداد. أو قد تقدَّم بدون استعداد فيوزع المعلم الأدوار بعد دخوله إلى الصف. قد تقدم بواسطة الأشباح أو تشخيص الصور أو التمثيل الصامت. أو قد يستخدم المعلم الدُّمى أو ما يعوض عنها للتمثيل. ويمكن تمثيل قصة السامري الصالح مثلاً بفاعلية بواسطة الدمى. وقد يستعمل التمثيل في افتتاح مدرسة الأحد أو أثناء فترة الدرس. والمعلم نفسه يمكنه أن يقدم الدرس بطريقة تمثيلية كما اعتاد المبشر المشهور بيلي سندي أن يفعل في وعظه. وفي إمكانه أن يقدم التاريخ أو سيرة شخص أو خلاصة أعمال تبشيرية في بلدان أخرى أو حالات أخلاقية واجتماعية أو دروساً أخرى بواسطة هذا الأسلوب. وهكذا يرغب الطلاب في الدرس ويجذب انتباههم ويعلمهم معلومات ويعمّق اختباراتهم.

(٢) تشديد يسوع عليه

ولم يكن السيد وحده قد استعمل أسلوب التمثيل إذ أن المعلمين من شعبه كانوا قد فعلوا ذلك سابقاً. كانت أعيادهم مناسبات تمثيلية فإن الشعب كان يمثل خلال الاحتفال بعيد الفصح ليلة الفصح الأول وإبقاء الأبكار في مصر. ومثلوا بواسطة عيد المظال سكنهم في الخيام أثناء السنين في البرية. وكانت الفرائض في خيمة الاجتماع والهيكل تمثيلية أيضاً لا سيما التي اختصت بتطهير العبدة واختيار الذبائح وذبحها وتقديمها. وكان لكل تفاصيل هذه الفرائض حتى للستارات وغيرها معان وأهمية. وكذلك كان الأنبياء يستخدمون التمثيل كما فعل أشعياء بمشيه في شوارع أورشليم حافياً لكي يُظهر للناس الفقر العتيد إن ياتي عليهم. وكما فعل أرميا بلبسه نيراً خشبياً تحذيراً من السبي المقبل عليهم. وكما فعل حزقيال ببنائه نموذج أورشليم ومحاصرتها عن طريق التمثيل.

لم يقدم يسوع تمثيليات رسمية لكنه استخدم المبدأ ولا سيما في تأسيس فريضتي المعمودية والعشاء الرباني فإنهما خليفة أعياد العهد القديم في العهد الجديد. وهما ليسا فريضتين فقط أو أمرين أو عملين اشتراكيين بل هما عمليتان تعليميتان تمثلان أهم الاختبارات والتعاليم في حياة المسيح. فإن العشاء الرباني يصور جسده المكسور ودمه المسفوك لأجل فداء البشرية ويصور اشتراكنا في فوائد هذا الاختبار حينما نقبله نحن. وتشير المعمودية إلى قيامة المسيح من الموت (وهي الآية التي وعد بها والتي برهنت عن كونه ابن الله) وإلى موتنا في الخطية وقيامتنا للسير في جدة الحياة (وهي أعظم اختبار بشري) وعلى قيامة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأموات الأخيرة (رجاء الحياة الأبدية). وهذه هي العقائد الأساسية الجوهرية في المسيحية. كما قال ج.ف لوف "بالصوت يكرز الناس للأذن وبالفريضتين يكرزون للعين".

وفهْم الفريضتين على هذا الضوء يرفعهما من مستوى الطقوس الفارغة الواطئ إلى مستوى عال هو مستوى أفعل الأساليب التعليمية المعروفة لدى الناس وهو عرض الحقيقة أمام الأعين بدلاً من القراءة أو التكلم عنها فقط. إن هذا يزيد قيمة الفريضتين القديمتين ويبرر موقف المعمدانيين تجاههما على مر العصور. فإننا لسنا من المتخلفين بل من أحدث المعلمين العصريين! وقد برر مثقفو القرن العشرين موقفنا. فبإمكان المشتركين أن يعتبروا إعلانهم الحقائق الأساسية في بشارة الحياة، بأفعل الطرق، شرفاً عظيماً لهم. وهذا الفهم أيضاً يمنع حساب العشاء وقت الشركة فقط كما أنه يمنع مطلقاً المباحثة المطولة في من يعتمد وكيف. وهو يقدم سبباً مقنعاً لفضِّ قبول معمودية أخرى لأن المعمودية التي تحصل في جو يمنع إعلان الحقيقة المقصودة منها قد حرمت من معناها.

من الأعمال التمثيلية التي اتّصفت بها خدمة يسوع إخراجه الصيارفة من الهيكل (متى ٢١: ١٢-١٦). لقد وجد اليهود يُسيئون استعمال امتياز بيع الحيوانات والطيور للذين لم يأتوا بذبائح فإنهم كانوا يربحون من ذلك عوضاً عن أن يقوموا به كخدمة فقط. فامسك سوطاً من حبال وأخرجهم من المكان وشتت المواشي وافلت الطيور وقلب موائدهم قائلاً "بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (ع١٣). وهكذا بين عن طريق التمثيل قداسة الهيكل والعبادة. "لم يُطهّر الهيكل أولاً لأجل الهيكل بل لكي يعلم الناس درساً آخر عن الخشوع أمام الرب".

ودخل السيد أورشليم بطريقة تمثيلية كملك منتصر، دخلها بين أغصان النخل وهتافات الشعب كما يرجع البطل المنتصر إلا أنه ركب حماراً لا مركبة وشيعه العباد لا العساكر وبيّن الملك الروحي لا السياسي (متى ٢١: ٧-١١). وكان هذا العمل بارزاً ومدهشاً ومؤثراً أكثر من كل عمل آخر في خدمته كلها. وهكذا استخدم يسوع أسلوب التمثيل بطرق مختلفة في تعليمه.

٣-القصص

أما الأسلوب الذي اتصف به السيد في تعليمه فكان المثل أو القصة ولا شك في أن هذه الطريقة تبرز في خدمته أكثر من أية طريقة أخرى وتفعل ذلك لدرجة أننا نعتبر المثل ميزة تعليمه الرئيسية ونتذكر قصصه أكثر من أي تعليم آخر ولا شك في أنه كان أمهر قصصيّ عرفه العالم.

(١) أهمية القصص واستعمالها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعني كلمة "مثل" في اللغة اليونانية "ما يلقى إلى جانب" شيء آخر فهو قصة من الحياة العادية تقدم لكي تضيء حقيقة غامضة أو هو صورة واضحة للحقيقة. ويعرف وليم سانداي المثال قائلاً "إنها مشاهد أو قصص مختصَرة من الطبيعة أو الحياة اليومية تقدم فكراً رئيسياً أو مبدأ قابلاً التطبيق على الحياة العليا الروحية". ويقول هورن "إن المثل هو مقابلة بين الحقائق المألوفة والحقائق الروحية وكأسلوب تعليمي لا يختلف المثل عن القصة مع أن بعض الأمثال مختصرة لدرجة أنها أكثر شبهاً بالمقابلة منها بالقصة وتدعى هذه "جرثومة المثل".

لهذا الأسلوب قيمة خاصة في التعليم فهو حسي ملموس ويثير الخيال وله نغمة طبيعية سهلة وهو جذاب وفعال. إنه أسلوب "لا يقترب منه أسلوب آخر من حيث جماله وكماله فيقف وحده بدون منافس في أساليب الكلام البشري". والذين يغضون النظر عن الحقائق والبراهين يستمعون إلى القصص وليس هذا فقط بل يتذكرونها ويتأثرون بها. والطلاب الذين يرفضون حضور سلسلة محاضرات يلقيها أستاذ مشهور يزدحمون حوله في وقت آخر لكي يسمعوا قصصه. وتؤثر القصص في الكبار والصغار على السواء فإن "الروايات تؤثر في التصرف أكثر من الكتب الأخلاقية" وقال أحدهم "دعوني أروي القصص فلا أهتم بمن يؤلف كتب الدرس".

قد تُستعمل القصة بثلاث طرق في التعليم: الأولى لجذب الانتباه وتستعمل الجرائد هذه الطريقة إذ تبتدئ مقالاتها بأروع جزء من قصتها ثم تتطرق إلى المعلومات المفصلة. وكذلك يستعملها الخطيب والمعلم. والثانية استعمال القصة كإيضاح يُضيء مبدأً أو حقيقةً معنوية قُدِّمت قبلها. ويستخدم الوعّاظ وغيرهم من الخطباء القصص كثيراً جداً في هذا السبيل ولا سيما في تطبيق الحق على الحياة. والطريقة الثالثة هي استخدام القصة لتقديم الدرس كله. وكان هذا فعل الأسطورة القديمة وهو مُستَعمل اليوم كثيراً بين الأولاد وله القيمة الزائدة لأن الطالب يستنتج الدرس لنفسه.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع

نجد لذة في النظر إلى استعمال يسوع الواسع للقصص أو الأمثال في تعليمه وقيل أن الأمثال كانت "قمة فنِّه". فإن الأمثلة تستوعب ربع كلماته المسجلة في إنجيل مرقس ونصف كلماته المسجلة في إنجيل لوقا فإذا حسبنا في عدد الأمثال كل استعارة وكل "جرثومة مثل" وكل إيضاح نجد حوالي مئة مثل في تعليمه. وهي مستوحاة عن الأشخاص والحيوانات والنباتات والأشياء غير الحية وقد جمع هورن واحداً وستين مثلاً، منها أربعة وثلاثون تختص بالأشخاص كالسامري الصالح، وأربعة بالحيوانات كالخروف الضال،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وسبعة بالنبات كحبة الخردل، وستة عشر بالأشياء كالتربة. فلولا الأمثال في تعليم يسوع لم يكن هناك إلا مادة قليلة جداً ولم يكن هو معلماً فعالاً بقدر ما كان.

ومثالاً على استعماله القصة ليبدأ بها درساً مثل الزارع وأنواع التربة وتجاوبها مع البذار (متى ١٣: ١-٩). فإنه يصور رجلاً يزرع بذاراً فوقع بعضه على الطريق الصلبة التي لا يخرقها شيء فأكلته الطيور. ووقع آخر بين الحجارة حيث لم يكن عمق أرض فنبت بسرعة إنما لم يكوِّن الجذور الضرورية لبقائه. ووقع آخر بين الشوك فخنقه الشوك الكثيف. ووقع آخر على تربة جيدة فنما ونبت وأثمر البعض ثلاثين والبعض ستين وآخر مئة ضعف. فلم يحتج المعلم بعد هذه القصة إلا أن يلقي أهمية على السماع.

واستجابة لطلب تلاميذه منه فسَّر تعاليمه المؤسّسة على المثل. وكان الطريق يرمز إلى السامع الغير منتبه الذي طفر الحق عنه كما يطفر البرَد عن السطح. وصورت التربة المتحجرة الشخص السطحي أو العاطفي الذي يقبل التعليم ويلبي الدعوة بسرعة إنما بدون عمق الاعتقاد فيرجع عنه عندما يواجه الصعوبات. أما التربة التي فيها الشوك فتشير إلى الذي يسمح للعمل أو اللهو أن يحول دون إثماره. وترمز التربة الجيدة إلى الذين يسمعونه ويقبلون التعليم بكل قلوبهم ويعملون به. فلم يستطع أحد أن ينسى القصة أو معناها.

ومثالاً على استعماله القصة كإيضاح لحقيقة ذُكرت قبلها مثل السامري الصالح (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧). سأله محام مكايد قائلاً ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ ثم أجاب على سؤاله باقتباسه الوصيتين عن محبة الله بكل القلب والفكر والقوة والنفس وعن محبة القريب كالنفس. ثم سأله سؤالاً آخر ليبرر نفسه وهو "فمن هو قريبي؟" (ع٢٩). فلم يقدم له يسوع نظرية مفصلة أو حجة إقناع بل وضح له الحقيقة بواسطة قصة رجل نازل من أورشليم إلى أريحا ضرب وسرق وترك بين الحياة والموت. وبعد مرور كاهن ثم لاوي مقابله دون أن يهتما به (وكان من واجب الاثنين بما تقتضيه مهنتهما أن يهتما به) أتى السامري (الذي كان بإمكانه أن يتمنع عن مساعدته بعذر الجنسية) فأنجده وضمّد جروحه وأخذه إلى خان وأنفق عليه ما كلفه من عناية وعلاج. ثم سأل المخلص بحذاقة "أي هؤلاء الثلاثة...صار قريباً له" (ع٣٦) (عوضاً عن أن يسال قريب من منهم كان الجريح؟). فلم يقدر المحامي إلا أن يجيب قائلاً "الذي ساعده". فكان المثل حجة لا تدحض أفحمت المحامي لعدم محبة القريب.

أما المثال عن تقديم الدرس كله بواسطة القصة فخير مثال هو في الأصحاح الخامس عشر من لوقا. حينما ادّعى الفريسيون والكتبة بأن يسوع كان يعاشر العشارين والخطاة فلم يجبهم بالحجج أو الانتقاد بل أجابهم بثلاث قصص- "الدرهم المفقود" "الخروف الضال" "والابن الضال" وفي كل منها فقد شيء ثمين فسبّب فقده القلق والحزن. وكذلك كان العشارون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والخطاة ذوي قيمة وضالين وكان يجب أن يحزن لهم الكتبة والفريسيون ويهتموا بهم. فكونت القصص الثلاث صورة جميلة عن فرح الله بالخاطئ التائب خلافاً لموقف الاحتقار الذي اتصف به قواد الدين أولئك. فلم يكن هناك ما يدعو إلى شرح أو مجادلة أكثر إذ أن فن السيد قد رفع الحقيقة الإلهية كمرآة أمام أولئك المنتقدين الغير الشفوقين فكشف عن موقفهم الخاطئ.

كان يسوع بالفعل يتقن استعمال الأشياء المنظورة وأسلوب التمثيل والأمثال في تعليمه. وكان استعماله لهذه الأساليب فضلاً عن شخصيته العجيبة، يجذب إليه الجماهير ويجعل تعاليمه تذكر وتكرر خلال القرون. فيحسن بنا أن ندرس طرقاً ووسائل لاستعمالها في تعليمنا أيضاً. فلن يستغنى عن المساعدات المنظورة والتمثيلية والإيضاحية.

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

إن بعض أساليب يسوع في التعليم هي:

١-الأشياء المنظورة.

(١) طبيعتها وقيمة استعمالها.

(٢) استعمال يسوع لهذه الأشياء.

٢-التمثيل.

(١) معناه ونطاقه.

(٢) تشديد يسوع عليه.

٣-القصص.

(١) أهميتها واستعمالها.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع للبحث

١-ما هو الخطر من استعمال الأشياء المنظورة؟

٢-اذكر أبرز درس من دروس يسوع بواسطة الأشياء المنظورة؟

٣-ميز بين التمثيل واستعمال الأشياء الملموسة.

٤-اشرح قيمة المعمودية كطريق للتعليم.

٥-ما هو معنى كلمة "مثل" ؟

٦-أية قصة تحسبها العظمى من قصص يسوع؟ لماذا؟

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-اعطِ أمثلة عن استعمال السيد للأشياء المنظورة.

٢-ما هي قيمة الأسلوب التمثيلي؟

٣-بين الطرق الثلاث لاستعماله القصص في التعليم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن: أساليب أخرى استعملها يسوع

لم يحصر يسوع تعليمه بأسلوب واحد ولم يفضل أسلوباً على آخر إلا أنه استعمل أسلوب المثل أكثر من كل أسلوب غيره. فإذا كان قد فكر في أساليب التعليم فإنه حسبها كلها مشروعة واستعمل ما ناسب الظروف منها.

فإن ما يدعو لاختيار أسلوب معين لتعليم درس معين هو عمر الطلاب ونوع الدرس وميل المعلم. ويرجح أنَّ المعلم الناجح يستعمل جميع الأساليب وينتقل من أسلوب إلى غيره.

١-المحاضرة

يعتمد أسلوب المحاضرة على حديث المعلم وحده أو يتخلله إجابات قليلة من الطلاب ويفرض أن تكون المحاضرة تقديماً شاملاً منظماً للحقيقة لكنها قد تقصر عن هذا. وقد يستعمل معها اللوح أو غيره من المساعدات. وقد سمّى ولسون هذه الطريقة "بالأسلوب الأدبي في الصف" وسماها آخر الخطابة التعليمية.

(١) قوة المحاضرة وضعفها

لم يستخدم ولم ينتقد أي أسلوب آخر أكثر من هذا الأسلوب. وكثيراً ما نسمع محاضرة ضد استعمال المحاضرة! فلهذا الأسلوب قوة وضعف وعلينا أن نقدره بحسب استحقاقه.

تظهر قيمة هذا الأسلوب وأفضليته إذا كان عدد تلامذة الصف كبيراً لدرجة أنه لا يمكن للمعلم أن يشرك إلا بضعة أعضاء من الصف في البحث. ويرجح أن يكون تأثير التعليم في الصفوف الكبيرة أقل فاعلية منه في الصفوف الصغيرة ولذلك يستحسن ألا تكون الصفوف كبيرة. أما إذا كانت الحالة تفرض ذلك فرضاً فإن المعلم عندئذ لا يستطيع إلا أن يقدم الدرس بواسطة المحاضرة. ويفيد هذا الأسلوب أيضاً الصف الذي ليست لأعضائه المقدرة الكافية أو المستوى العلمي اللازم لمتابعة درس يعطَى بأسلوب آخر.

وله قيمة خاصة في الدروس العقائدية، وفي تقديم بعض الدروس الصعبة في العهد القديم. وكذلك يستفيد الطلاب بواسطة المحاضرة من علم المعلم وسعة اطلاعه واختباره الثمين. فياله من امتياز أن يجلس الشخص ويسمع تعليم بعض العظماء! وبإمكان المعلم بواسطة المحاضرة أن يقدم الدرس بصورة أشمل مما يمكنه في استعمال الأسئلة والأجوبة ولا تكون له إلا فرص قليلة ليحيد عن الموضوع الرئيسي أثناء المحاضرة التي تمكنه أيضاً من الوصول إلى القمة في الدرس بختام حاسم. وذلك غير ممكن إذا استخدم أسلوباً آخر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن جهة أخرى نجد لهذا الأسلوب مصادر ضعف عديدة أعظمها هو أنه يحمل الطلاب على الكسل فلا يقرأ أكثرهم الدرس أبداً لا سيما إذا تأكدوا من أن المعلم سوف لا يسألهم عن الدرس. ويصح هذا القول حتى على طلاب اللاهوت. علم الكاتب صفاً من الرجال في مدرّج في المدينة فوجد أن واحداً فقط من أصل ثلاثة وستين رجلاً قد حضّر درسه. ومن الطبيعي أنهم لم يكونوا مستعدين لفترة الدرس.

وضعف آخر في الأسلوب يبدو في عدم تمكن المعلم من معرفة نتيجة تعليمه أفهم الطلاب الدرس أم لا، وفي عدم استطاعته أن يصلح أغلاطه. استنتج معلم من ثلاثة أجوبة على سؤال واحد في الامتحان أنَّ طلابه لم يفهموا تعليمه ولكنه لم يستطع أن يلحظ ذلك حينما كان يلقي عليهم المحاضرة.

وكما ذُكر سابقاً لا يتعلم الطالب بدون العمل الفكري، والعمل الفكري يتضاءل جداً خلال المحاضرة إذ يجلس الطلاب فقط ولا يشتركون في البحث بينما يلقي المعلم محاضرته عليهم.

إذاً لأسلوب المحاضرة قوة وضعف.

(٢) محاضرات يسوع

استعمل يسوع المحاضرة أو الخطابة التعليمية كثيراً لا سيما في النصف الأول من خدمته حين علم الجماهير أكثر من الأفراد والجماعات الصغيرة. وألقى محاضرات على الجماهير الغفيرة وعلى الجماعات الصغيرة وعلى تلاميذه وعلى الغرباء. "وكان منبره سفح الجبل أو القارب الراسي على شاطئ البحيرة وكانت قاعته تحت سقف السماء الأزرق وكان سامعوه الجماهير التي اشرأبّت إليه أعناقهم منتبهين باشتياق...وقالوا عنه (أتى من الله معلماً)".

يذكر هورن ستين محاضرة ألقيت على الجماهير أو على التلاميذ أو على الفئتين. ألقاها في الهيكل وفي الجامع، في المدن وفي الريف، على الجبال وقرب البحيرة. وكانت مواضيعها مختلفة منها الغنى والطلاق والسبت ونشر ملكوت الله. وعلى ضوء قول يوحنا أن العالم نفسه لا يسع كل ما قاله يسوع يرجح أنه ليس لنا إلا شيء قليل من محاضراته وجزء فقط من التي ذكرت.

هناك ثلاث محاضرات تملأ كل واحدة منها أكثر من أصحاح فهي أهم محاضراته. وواحدة منها تعليمه عن الدينونة وهي تملأ أصحاحين (متى ٢٤-٢٥) فيها وصف ظروف مجيئه الثاني ومفاجأته والحوادث التي تتبعه. وتشتمل على قصص التينة التي لم تثمر والوزنات والعذارى الحكيمات والجاهلات. وأخرى هي تعليمه على الجبل الذي يملأ ثلاثة أصحاحات وهي معروفة أكثر من أي محاضرة أخرى (متى ٥-٧). فيها يبرز امتياز تعليمه على تعليم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناموس والأنبياء ويصف مواطن الملكوت وأعمال المؤمن به. اما محاضرته الطولى فهي الوداعية التي تملأ أربعة أصحاحات في إنجيل يوحنا (١٤-١٧) وهي رسالة تعزية تُخبِر بمجيء الروح القدس وتُعْلِم عن علاقة الكرم بالأغصان، والمشاكل التي سيواجهها التلاميذ، والانتصار النهائي. وقد ختمها بصلاته لأجلهم.

كانت محاضراته تثير التفكير وتفحص القلوب وكانت عملية وحيوية. وقد اشتملت على نطاق واسع في مواضيعها فبيّنت تفكيره واستعداده وهي تختلف بعضها عن بعض من حيث الأسلوب والطريقة وكانت جذابة لانتباه الناس ومرغبة في الاستماع إلى درجة أن الجموع بُهِتوا من تعليمه (متى ٧: ٢٨). وحتى الذين لم يؤمنوا به تركوه وهم يقولون "لم يتكلم قط إنسان مثل هذا الإنسان" (يوحنا (٧: ٤٦). فتأثروا من رسالته. لما ألقى السيد محاضراته استمع إليه الناس وتعلموا وزادت معرفتهم وتأثروا وتغيرت حياتهم. وكان لمحاضراته تأثير ثلاثي على الفكر والعواطف والإرادة. فكانت أهمية المحاضرة في تعليمه تساوي أهمية القصة. والحق يقال أن القصص ألفت الجزء الكبير من المحاضرة.

٢-السؤال

إن أسلوب الأسئلة والأجوبة هو من أقدم أساليب التعليم وأكثرها استعمالاً ، اشتهر به سقراط وهو مستعمل كثيراً في أيام العهد القديم والعهد الجديد وقد مارسه الناس منذ تلك الأيام دون انقطاع وهو يستعمل اليوم أكثر من كل أسلوب آخر تقريباً. وكما سنرى كان يسوع يستعمله كثيراً في تعليمه.

(١) غايات هذا الأسلوب وصفاته

يستعمل هذا الأسلوب ليسبر غور معرفة الطالب وقد تكون الأسئلة فيه اعتباطية أو سلسلة منظمة لكي تبين حقائق الدرس. استعمله سقراط بنظام لكي يستمد المعلومات من الطلاب بناء على اعتقاده بان المعرفة شيء بديهي في الإنسان. فهذا الأسلوب مستعمل منذ بداية الجنس البشري ومنتشر في كل مكان بقدر ما ينتشر التعليم نفسه وهو مناسب لجميع الأعمار ولاسيما للأحداث والفتيان (١٠-١٥) فلن نستغني عنه.

تستعمل الأسئلة لعدة غايات أولاً لأنها تجذب الانتباه وتضبطه لأن الطالب الذي قد ينام أو يتجول بأفكاره خلال المحاضرة يستيقظ خلال إلقاء الأسئلة إذ لا يعرف متى يسأله المعلم سؤالاً! ففي استعمالها عنصر مفاجئ. وثانياً تثير الأسئلة التفكير إذا كانت ملقاة بطريقة جيدة. ولا يستغني التعليم عن التفكير إذ لا يتعلم أحد بدونه لأن قبول الحقائق بدون التفكير لا ينمي عقل الطالب ومعارفه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكذلك توضح الأسئلة الموضوع وتعمق تأثيره. والذي يجيب على السؤال يثير أفكاره ويعبر عنها أيضاً ، وهذان عاملان يساعدان في التعليم. وللأسئلة التي ليس لها أجوبة، أو أجوبتها واضحة حيث لا حاجة للجواب عليها، تأثير خاص.

ثم إن المعلم يعرف بواسطة الأسئلة أيفهم الطالب ويتذكر الدرس أم لا وهكذا يمتحن تأثير تعليمه، ويوضحه إذا كان بحاجة إلى إيضاح، ويزيد فاعلية خدمته.

لا تحصل هذه النتائج إن لم تتصف الأسئلة بالصفات التالية: أولاً يجب أن تكون الأسئلة واضحة أي بسيطة ومختصرة ومحددة يفهمها الطالب، وليس كسؤال راع تألف من ٢٢٢ كلمة ولا كسؤال المعلم الذي قال: "من طارد من حول أسوار أي شيء؟".

وثانياً يجب أن يبعث السؤال على التفكير. إن الأسئلة عن المعلومات لا تكفي إذ يجاب عليها بصورة ميكانيكية كما فعل الطالب الذي رجع إلى مدرسة الأحد بعد غياب طويل ولما سأله المعلم "أين كنت في الأسبوع الماضي؟" نظر إلى الدرس وأجاب على السؤال الأول فيه قائلاً "اثني عشر كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من أورشليم". ويجب أن يلقي المعلم السؤال بطريقة توقظ انتباه التلاميذ كلهم ويستحسن عادة أن يسأل السؤال قبل أن يذكر اسم أحد وأن لا يعيد السؤال إن لم يسمعه الطالب، وأن يُسأل الطالب أكثر من سؤال واحد في فترة الدرس. ويجب أن يسأل عما يهتم به جميع طلاب الصف.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع

في أول مشهد من حياة السيد بعد ولادته وطفولته نراه يسأل الأسئلة ، إذ في سنه الثانية عشرة تركه والده في أورشليم ثم وجداه في الهيكل "جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم" (لوقا ٢: ٤٦). وظل هذا ميله إلى آخر حياته. تشير مجلة مدارس أحدية إلى مئة وأربعة وخمسين سؤالاً مسجلة له.

ويتألف جزء كبير من سجلات حياته من أسئلة وأجوبة لولاها لتغيرت محتويات الإنجيل إلى درجة بعيدة. وقد اعتمد يسوع كثيراً على هذا الأسلوب. فقد قال السيد مارل "أتى ليس لكي يجيب على الأسئلة بل ليسألها وليس ليهدئ نفوس الناس بل ليثيرها وليس ليسهل الحياة بل ليجعلها أداة التعليم". وقال ماركْوِس "اعتاد ربنا أن يلقي سؤالاً من وقت إلى آخر يهيج به طمأنينة طلابه ويثير تفكيرهم".

وفي بداية الدرس كان يسوع يستعمل السؤال ليجذب الانتباه ويتصل بطلابه ويعد عقولهم لما كان عتيداً أن يقوله. والمثال على ذلك سؤاله التلاميذ "وأنتم من تقولون أني أنا؟" (متى ١٦: ١٣-١٥). فأثار بهذا السؤال التأمل في شخصه وجعلهم يفكرون به وأعد الطريق لكي يعلن نفسه كابن الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأيضاً حينما طلب يعقوب ويوحنا امتياز الجلوس إلى يمينه وإلى يساره بدأ تعليمه بالسؤال "أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا" (مرقس ١٠: ٣٥-٤٠). وهكذا أعدهما لجوابه وكاد أن يجعلهما يجيبان على طلبهما لنفسيهما. وحينما قال للشاب الرئيس الغني الذي سال عن طريق الحياة "لماذا تدعوني صالحاً ؟" (مرقس ١٠: ١٨) كان يعد الشاب للجواب الصعب الذي أراد أن يقدمه له عن ماهية الحياة الصالحة.

استعمل السيد أسئلة عديدة في صلب درسه وكان هذا استعماله الرئيسي لها. وكانت الأسئلة التي استعملها متنوعة . كانت غايته منها أحياناً أن يحصل على المعلومات كسؤاله يعقوب ويوحنا "ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ " (مرقس ١٠: ٣٦). وأحياناً كان يلقيها لكي يساعد الطالب على التفكير في مشكلته وحلها. فلما رأى منتقديه يراقبونه ليشتكوا عليه وهو عتيد أن يشفي ذا اليد اليابسة قال لهم "هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو قتل؟" (مرقس ٣: ١-٥). واستخدم الأسئلة لتوضيح التعليم وتطبيقه فلما اتهم الفريسيون طلابه بقطف السنابل في السبت أشار السيد بشكل سؤال إلى دخول داود وأتباعه إلى بيت الله وأكلهم خبز التقدمة الذي لم يحل لهم (مرقس ٢: ٢٣- ٢٨).

وكذلك استخدم الأسئلة كحجج. والمثال الأعظم على ذلك هذا السؤال"فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالأحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟" (متى ٦ : ٣٠). فهو حجة تنتقل من الأمر البسيط إلى الأعظم. والتجأ حتى إلى سؤال اشتمل على معضلة لكي يؤكد نقطته فلما سأله رؤساء الكهنة والشيوخ عن سلطانه على التعليم سألهم "معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟" (متى ٢١ : ٢٥). فسكتوا إذ لم يستطيعوا الجواب عليه بأية طريقة بدون ان يقعوا في ورطة.

من الصعب تمييز الأسئلة للتشديد والحجة عن الأسئلة للتطبيق والحث على العمل لكن الظاهر أنه استعمل البعض خاصة للتشديد على تعاليمه. فلما ختم قصة السامري الصالح سأل المحامي المكايد "أي هؤلاء الثلاثة صار قريباً للذي وقع بين اللصوص ؟ " (لوقا ١٠ : ٣٦). فكان السؤال للحث على العمل بقدر ما كان للاستفهام.

يشبهه السؤال الذي ألقاه على التلاميذ والذي لم يتطلب جواباً "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وأهلك نفسه أو خسرها؟" (لوقا٩ : ٢٥). لا تصريح يعادل قوة هذا السؤال. وكذلك استخدام السؤال مكرراً ثلاث مرات لبطرس "يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟" فإنه أراد أن يشدد على حثّ بطرس على رعاية خرافه.

إذاً كانت الأسئلة قريبة من محور أساليب يسوع التعليمية وكانت أسئلته دائماً عملية لا نظرية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- المُباحثة

من أكثر الأساليب ذكراً لليوم، ولا سيما في تعليم البالغين، المباحثة. ويُعتقَد أن هذا الأسلوب يناسب خاصة الشباب وطلاب الكلّيات. وله مكان هام في تعليم السيّد الذي لم يستعمل المباحثة بصفاتها الرسمية كما تُمارَس اليوم بل استعمل المبادئ الأساسية فيها.

١- طبيعة المباحثة وقيمتها

يكون هذا الأسلوب رد فعل عن الأسلوب الرسمي كالقصة أو المحاضرة الذي فيه يتكلم المعلم وحده، عن أسلوب التمسيح الذي فيه يعيد الطالب عن ظهر قلب مواد الدرس. ففي هذه الأساليب قد لا يفهم الطالب الحقيقة المقدَّمة له. وقد عرّف أسلوب المباحثة "بعملية الاستنتاج الممحص بواسطة تفكير الجماعة" فيحتوي على فهم الطالب الدقيق للحقيقة. وتختلف المباحثة عن التكلم العرضي بدون نظام وقصد لأن الصف يتقدم تدريجياً في البحث. وتختلف أيضاً عن الدعاية إذ يطلب المشترك الحق ولا يحاول أن يفرضه على غيره ويعتمد على العقل المستفهم. ويختلف أيضاً عن المجادلة إذ يسعى المشترك لفهم المقصود في وجهة نظر غيره وتقديرها لا لنقضها. يسعى لذلك وهو على استعداد لقبولها متى وجدها صحيحة. فالمباحثة إذاً بحث عن الحقيقة يشترك فيه المعلم والطلاب معاً.

والحالة الداعية لحل موضوع البحث يقتضي بعض المطاليب. أولاً يجب أن يكون الطلاب على مستوى واحد في التعليم تقريباً وأن يكونوا ممن يهتمون بالأمور ذاتها. وعادة تتكون الجماعة المناسبة لهذا الأسلوب من طلاب الصفين أو الثلاثة الصفوف العليا في المدرسة الثانوية ومن طلاب جامعة أو كلية. وينبغي أن يكون بينهم إجماع على ما يهتمون به لأن الموضوع يكون عادة شيء يخص أمور الجماعة الشخصية أو الاجتماعية أو الروحية. ويتطلب هذا الأسلوب أيضاً عقلا مفتوحاً لقبول الحق أنَّى كان مصدره ولتقديره ولاتخاذ ما هو جيد فيه. ومن الطبيعي أنه يجب أن تكون هناك معلومات يستمد الطلاب منها لكي يصلوا إلى نتيجة بحثهم. ولا ينكر أن المباحثة قد تقام في أقل من هذه الظروف المثالية.

وفي أسلوب المباحثة يثير المعلم أفكار الطلاب ويرشدهم أكثر مما يعلمهم. لأنه يكون المحرّك الغير المنظور. ولا يقدم آراءه هو أو آراء كاتب ما بل يقود الصف إلى تكوين آرائهم. فمهمته هي مساعدة الصف على الاختيار من مواد الدرس لمشكلة يهتم بها الكل اهتماماً حيوياً ثم مساعدته على إيجاد مصادر المعلومات عن ذلك الموضوع. ومن ثم يشرف على جمع المعلومات وتقديمها إلى الجماعة ويساعد على تقديرها وترتيبها ويعمل في سبيل تقديم البحث وتركيزه على الموضوع المعين وأخيراً يتأكد من الوصول إلى استنتاج ما. ووصفنا هنا ينطبق على حالة مثالية لا توجد تامة في الصف العادي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويظهر مما يُذكر أعلاه أن لهذا الأسلوب قيمة عظيمة. فإنه يجبر الطلاب على العمل والتفكير أكثر من أي أسلوب آخر فيعملون في سبيل اختيار الموضوع وإيجاد المعلومات وتقديرها مما يزيد التعليم كثيراً. ويشتمل الأسلوب على إنماء قوة الابتكار في الطالب فيساعد عملية التعليم وبناء الأخلاق أيضاً. وهذا ما يميز التعليم الذي ينقل أفكار المعلم إلى الطالب دون إشراكه في التفكير من التعليم الذي يحمل الطالب على اكتشاف الحقيقة بنفسه. ويستخدم هذا الأسلوب أيضاً الدافع الاجتماعي إذ يشعر كل واحد بأن له جزءاً في البرنامج واشتراكاً فيه لأنه عملية مشتركة. وكذلك تحفظ المباحثة اهتمام الطالب وتجعله يواظب على السعي في التعلم بصورة ممتازة. ويقوم الطالب بالبحث عن الحقيقة وتقدير المعلومات فتنمو فيه قوة التفكير والتقدير.

ولهذا الأسلوب مصادر ضعف أيضاً إذ لا يناسب جميع الأعمار ولا كل الحالات ولا كل أنواع الدروس ولا جميع المعلمين. لكنه ليس بعيداً عن أفضل أسلوب للتعليم ويرجح أنه الأفضل لتعليم البالغين.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع

لا نقدر أن نقول أن يسوع استعمل المباحثة بصورة كاملة رسمية كما وُصِفَت أعلاه فهو في الواقع لم يستعمل أي أسلوب بطريقة رسمية كما نفعل نحن، لكنه استعمل المبادئ والعناصر الرئيسية في جميع الأساليب وبهذه الصورة امتاز في كل تعليمه. كان عادة يستعمل المباحثة مع شخص واحد وليس مع جماعة فإذا باحث جماعة كانت المباحثة بسيطة جداً. والمثل على هذا الأسلوب معاملته السامرية عند بئر يعقوب وقد درسناها سابقاً. كان يسوع في حديثه معها يقودها في تفكيرها ويستخلص منها آراءها ويقدم لها آراءه ويساعدها على رؤية الحق الذي يقدمه لها وتقديره وعلى الإجابة عليه. فمعاملته لها مثال جيد عن المحادثة التي هي تحديد أسلوب المباحثة على شخص واحد.

وهناك مثل آخر في تعليم السيد لنيقوديموس (يوحنا ٣: ١- ٢١). كان هذا فريسياً ورئيساً ومعلماً، ويشبهه كالكنس "بأستاذ جامعة وقاضي محكمة عليا ومطران كنيسة" فكان له موقف شرعي وأدبي ومهني. ولسبب غير معروف أتى إلى المعلم العظيم ليلاً وتقدم إليه بعد المجاملات بدون أن يصرح بموقفه تجاه يسوع.

وحالاً أثار يسوع موضوع الاختبار الروحي فأخبر القائد الديني المؤدّب بحاجته إلى ولادة جديدة إن أراد أن يرى ملكوت الله. وكانت هذه الفكرة بعيدة عن ديانة نيقوديموس الرسمية فظن أنه يشير إلى الولادة الطبيعية. ثم قال له يسوع أن عليه أن يولد طبيعياً (من الماء) وروحياً (من الروح) قائلاً "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (ء ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعاتب المخلِّص نيقوديموس بلطف على عدم فهمه مع كونه معلماً ومن ثم وسَّع الفكر وشدد على عطية الله يسوع لكي "لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (ء ٦). وتذكُر سجلات أخرى أنه استجاب لتعليم يسوع ودافع عنه أمام المجلس وأتى بعد موته بأطياب وأكفان لدفنه.

ومثال آخر عن المباحثة أو المحادثة هو معاملة يسوع للشاب الرئيس الغني (مرقس ١٠: ١٧- ٢٢). كان هذا الشاب متعلماً دارساً للناموس وذا أموال طائلة وعضواً في المجمع ولم يكتف بكل ذلك بل واجه السيد في الطريق وركع أمامه وسأله ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية. وهكذا أثير موضوع المباحثة، فامتحنه المعلم إذ طلب منه أن يحفظ الوصايا فأجابه الشاب أنه قد فعل ذلك منذ صغره وعرف السيد أن الطمع أصل مصاعب الشاب فقال له "اذهب بع كل ما لك واعط الفقراء ... وتعال اتبعني". (ء ٢١). لكن تقدير الشاب لقيمة أملاكه رُجِّع على الشعور بحاجته إلى يسوع فمضى حزيناً. وكان عمله هذا رفْض الفرصة العظيمة في حياته. لكن المعلم سمح له أن يختار لنفسه ولم يجبره.

إذاً استعمل يسوع أسلوب المباحثة لتعليم المرأة المنحطَّة والرجل الطّماع والقائد المفتخر ببرّه.

وهناك أساليب أخرى استخدمها يسوع ولكنها أقل من هذه المذكورة. فاستعمل طريقة البيان العملي لينزع شك يوحنا المعمدان في كونه المسيح (متى ١١: ٢- ١٩). واستعمل المشاريع لكي يتعلم الطلاب بواسطة العمل كما فعل بإرساله التلاميذ ليشهدوا ويشفوا (متى ١٠: ١- ٤٢) وبعد ذلك بإرسال السبعين تلميذاً لمهمة نظيرها وقَبِل تقاريرهم عن عملهم بعدئذ (١٠: ١- ١٢و ١٧). فتعلموا بواسطة مراقبة خدمته ثم التمرين في الكرازة والتعليم والشفاء.

ونلمس في نظام محاضراته وتقديمها شيئاً من أسلوب استخدام التبويب كما في التعليم على الجبل. إذاً نجد في تعليم يسوع المبادئ الأصلية لجميع الأساليب المستعملة اليوم. وكان يتقن الكل وكان أعظم من الكل إذ "وراء كلماته وإرشاداته وأساليبه كان يسوع نفسه".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

١- المحاضرة.

(١) قوة المحاضرة وضعفها.

(٢) محاضرات يسوع.

٢- السؤال.

(١) غايات هذا الأسلوب وصفاته.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع.

٣- المباحثة.

(١) طبيعة المباحثة وقيمتها.

(٢) أمثلة من تعليم يسوع.

مواضيع للبحث

١- لماذا لا تحبذ المحاضرة كأسلوب تعليمي اليوم بقدر ما كانت تحبذ سابقاً؟

٢- ما هي أعظم محاضرة من محاضرات يسوع؟ لماذا؟

٣- اذكر بعض أخطار استعمال الأسئلة.

٤- ما هو أول سؤال مسجل ليسوع؟

٥- اذكر مباحثات أخرى من تعليم يسوع.

٦- هل استعمل يسوع أسلوباً آخر غير الأساليب التي ذكرت؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أسئلة للمراجعة والامتحان

١- اذكر نقطتي قوة ونقطتي ضعف في استعمال المحاضرة.

٢- بين كيفية استعمال السيد الأسئلة في تعليمه.

٣- أشر إلى ثلاث مناسبات استعمل فيها يسوع المباحثات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع: نتائج خدمة يسوع

أما نتائج عمل يسوع فلا تُظهر تفوُّقه كمعلم فقط بل تبرر تشديده على التعليم أيضاً. حقاً إنه كان المعلم العظيم الذي ليس له مثيل فهو وحده يشغل المرتبة الأولى بين المعلمين ويتفوق على غيره في كل ناحية من نواحي التعليم. فله أتباع أكثر من أي قائد ديني أو عالمي، وتأثير عمله على حياة العالم هو أعظم من تأثير أي قائد آخر. "لم يبالغ بوسي لما قال أن كل حركة تقدمية بين البشر خلال ألف وتسعمئة سنة مضت يرجع أصلها وفضلها إلى يسوع مصدرها الأول".

نلاحظ هنا بعض ما أنجزه يسوع فقط فإن هناك نتائج أخرى كثيرة.

١-رفع قيمة الشخصية

قبل مجيء يسوع لم يكن لبعض الناس أهمية ككائنات بشرية بل حُسِبوا مجرد أجزاء تافهة في جهاز ميكانيكي، خُلِقت لخدمة غيرهم أو لتكون وسائل لبلوغ غايات الآخرين ولم يعتبروا أشخاصاً لهم حقوق وأهمية في أنفسهم. كان هذا الموقف ولا يزال من أعظم مشاكل المدنية. قال هنري كينغ "إن تقديس الشخصية هو المبدأ الأساسي في الأخلاق والدين لأن هذا المبدأ هو المحكّ الأصحّ والأعلى للفرد أو للمدنية، وكان المبدأ الهادي والحاسم في كل تقدم بشري، ومن جهته الروحية هو الإيمان الذي يحافظ على معنى الحياة وقيمتها".

في أيام يسوع كان الكتبة والفريسيون والصدوقيون ينظرون باحتقار إلى العشارين والخطاة معتقدين أنهم هم أفضل وأرفع من أن يعاشروا أشخاصاً من تلك الطبقة المنحطة فانتقدوا يسوع لمخالطته إيّاهم. وكذلك حسبوا الأمم غرباء ووثنيين غير مستحقين بركات الله وخارج نطاق التبشير.

لم يكن يونان الوحيد الذي لم يرد خلاص الآخرين. فإن اليهود كذلك لم يتعاملوا مع السامريين. وكانت النساء خادمات للرجال عليهن أن يغطّين وجوههن ويلتزمْن الصمت في المجالس والاجتماعات وفي بعض الأماكن كان الوالدان يزوجان بناتهما بدون إرادتهن. وكذلك لم تكن للأولاد حقوق فكان يترك الضعفاء منهم ولا سيما البنات للهلاك وفرائس الوحوش. واعتُبِرت بعض الجماعات والأجناس طبقة أقل قيمة من سواها من الطبقات فحُصِرت أعمال أفرادها في الاحتطاب واستقاء الماء فقط.

لكن تعاليم السيد عملت لتغيير هذه المواقف والمشاعر. "اعترف يسوع بقيمة الفرد وشدد عليها أكثر مما فعل أيّ معلم آخر". رفض أن يحكم على المرأة التي أُمسِكَت في زنى وقدم أحد دروسه العظمى للمرأة الساقطة عند البئر. ووضّح الأخوّة الحقيقية لما صور السامري يعين اليهودي الجريح. وكان في تعليمه يرفع المرأة إلى مستوى الرجل فسيّر القوات التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أدت إلى حصول المرأة على حق التصويت والاشتراك في العمل الاجتماعي والحكومة وفي الخدمة في الكنيسة والطائفة. وكذلك وضع الولد في الوسط مثالاً على التواضع وانتهر الذين منعوا الأولاد عن المجيء إليه وأشار إلى خطر إعثار أحد الصغار وهكذا بدأ التأثير الذي جعل الأولاد في محور عجلة الثقافة. واقتاد تعليم يسوع الناس ليدركوا أن ليس عند الله محاباة وأنه يعز الجميع سواء أكانوا "حمراً أو صفراً أو سوداً أو بيضاً" فليس لأحد أن يستعبد آخر أو يستغله. وبيّن في مثل الابن الضالّ اهتمام الله بالأشخاص. وهكذا سبّب تعليم يسوع الاهتمام بالشخصية الذي هو أساس كل معاملة مستقيمة بين الناس. فإنه أعطى الأهمية لا للأشياء بل للأشخاص.

٢-غيّر الحياة

قال يسوع أنه جاء "لينادي للمأسورين بالإطلاق" فكان تجديد الحياة لُبّ مهمته – تحرير النفس من عبودية الخطيّة. وكان عمله المحرِّر والمغيِّر يبرز في خدمته. غيَّر يسوع بطرس من شخص متسرّع متقلقل إلى خادم راسخ يعتمد عليه. وغير يوحنا من شاب حادّ الطبع إلى شيخ محبوب. وجعل يعقوب من جبلة الذين استشهدوا لإيمانهم. وكذلك غير متى إلى شخص جديد وجعل بولس المضطهد الرسول العظيم. وأصبح زكا العشار الطماع "أول مسيحي إنساني أعطى نصف أمواله للفقراء ورد أربعة أضعاف ما اغتصبه" وتغيرت امرأة ساقطة إلى مبشرة. وغيَّر الرب كثيرين آخرين وأرسلهم ليخدموا.

وما قيل عن تأثير قوله في الذين علمهم أثناء خدمته الأرضية يصح أيضاً على الذين تأثروا بعد موته من تعاليمه ومن روحه. لقد تبعه على ممر القرون سلسة حية غير منقطعة من التلاميذ المتغيرين الذين صاغوا مصير العالم. هناك أوغسطين الذي تغيَّر من خاطئ طائش إلى مسيحي غيور أثر بواسطة تعليمه وكتاباته على التفكير المسيحي لمدة قرون. وهناك أبيلارد الذي امتلأ من روح المعلم العظيم وبواسطة تعليمه في جامعة باريس جعل المسيحية ديانة مفكرة ومهد الطريق أمام الإصلاح البروتستانتي. ولوثر فهم أفكار المسيحية بوضوح وكان البادئ في الإصلاح كمعلم وكاتب وقائد وهكذا غيّر تاريخ المدنية.

ولا يسمح المجال لذكر كومينيوس قائد التعليم المراوي ورايكس مؤسس حركة المدارس الأحدية وغيرهما ككلارك وواسلي ومودي وكاغاوا وهم أشخاص مغيرون "قهروا ممالك صنعوا برّاً" وغيَّروا مجرى التاريخ فإن حياتهم تبرهن بصورة عملية عن عظمة القوة المتغيرة للمسيح الساكن فينا.

وما فعلوه هم بقيادة الله قد يفعله طلابنا أيضاً وقد يخرج من صفوفنا أشخاص مغيّرون يباركون العالم. لم يدرك أحد شيوخ كنيسة مشيخية، لما تعهد بتعليم صف في مدرسة الأحد تألف من خمسة صبيان أشقياء أن أحدهم سيصبح طبيباً وآخر رئيس جامعة وغيره والي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولاية وآخر رئيس المجمع المشيخي العام في أميركا وآخر مرسلاً في بلاد غريبة. لكن تعليمه غيَّر حياتهم وأجرى فيهم تأثيراً اتسع إلى العالم كله. وبنعمة الله قد يفعل تعليمنا كذلك. "ليس هناك من حد لما يُنجز حينما يسلِّم المرء نفسه تسليماً تاماً لإرادة الله".

٣-أثار الإصلاحات

مع أن يسوع لم يكن مصلحاً اجتماعياً فإن تعليمه ومواقفه الاجتماعية سببت الإصلاحات الأخلاقية العظمى في التاريخ. لأن تعاليمه وهي تتخلل الحياة تكشف شر بعض العادات والمواقف وتشعر الناس بضرورة إلغائها. وهكذا أسس الحركات الإصلاحية العظيمة في المجتمع بطريقة غير مباشرة وهي خير طريقة لإنجاز عمل ما في كثير من الأحوال. ومن هذه الإصلاحات التي يرجع الفضل فيها إلى تعليم يسوع تحرير المرأة والاعتراف بحقوق الأولاد والتشديد على قيمة الشخص رغم لون بشرته ومعتقده وجنسه. وقد تقدمنا تقدماً ملموساً في القضاء على أنظمة الطبقات والروح الضيقة، وفي توحيد شعوب من جميع الطبقات والألوان في أخوية واحدة وقد عملت الحرب العالمية في هذا السبيل رغم طبيعة الحروب فألغت الفوارق وربطت أناساً من فرق مختلفة معاً.

وأدى تعليمه أيضاً إلى إصلاحات معينة فنتج الإصلاح البروتستنتي عن إدراك حقوق الفرد والرغبة في كسر سلطة الكنيسة على الولاية لكي يتحرر الفرد في فكره وعمله بحسب مقتضى ضميره. وكذلك ألغيت العبودية بعد تشديد بعض القواد على التعليم المسيحي عن الحرية الشخصية فتقدمت المدنية إلى حيث لم يبق في طاقة المجتمع أن يحتمل استعباد شخص لآخر.

سنّ قانون منع المسكرات بعد تعليم معلمي المدارس الأحدية ضد المسكرات بجيل كامل، فأدركت الإنسانية الإدراك المزدوج وهو أن ما يضر بالجسد يضر أيضاً بالروح، وأن المجتمع مسؤول عن وضع التجربة أمام مواطنيه. وسيتكون نظام فعّال لحفظ السلام العالمي ليس بواسطة رجال سياسيين يجلسون حول طاولة للمفاوضة بل بواسطة معلمين مسيحيين في كل البلدان يعلِّمون المواطنين في المدارس الأحدية واليومية قداسة الحياة البشرية. لقد أسفرت كل حركة إصلاحية عظيمة عن فعالية تعاليم السيد.

وما صح في الماضي سوف يصح أيضاً في المستقبل. سيرجع قانون منع المسكرات وسيكون فعالاً فقط بعد أن ينمي معلمو الأحد جيلاً مشبعاً من هذا المثال. وسيحدد تعدي الحكومة على حقوق الفرد في الأمور الاقتصادية بعد أن تدرك الرعية الخطر الذي يهدد الحرية فقط. وسيوضع حد لفساد الأخلاق بواسطة تشديد المعلمين على مضار الفساد ولزوم الطهارة. كما قال براين "لا يكون لميثاق اتحاد الأمم قيمة تساوي الورق الذي يكتب عليه إن لم تكن وراءه روح المسيح".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤- حسّن المؤسسات

قبل مجيء يسوع لم يكن للعائلة ما تستحقه من الاحترام ولا سيما خارج نطاق التعليم اليهودي إذ كان للوالدين السلطة المطلقة ولم يكن للأولاد حقوق قط. وكان موسى لقساوة قلوب الناس قد أجاز للرجل أن يطلّق امرأته لأي سبب تقريباً. أما يسوع فلم يعلم هكذا بل حسب الزواج رباطاً لا ينفصم إنما أجاز الطلاق لعلة واحدة وهي عدم الأمانة وحلل الزواج ثانية للبريء. وهكذا رفع العائلة إلى مستوى أعلى جداً من مستواها الأول بواسطة تعليمه. وسترتفع الحياة العائلية إلى هذا المستوى ويقلل الطلاق فقط بعد أن يقود المعلمون المسيحيون الجيل الناشئ لإدراك قداسة العائلة وقداسة تعهد الزواج.

والحكومة اعتبرت سابقاً غاية في نفسها فكانت مؤسسة ذات سلطة كاملة على الرعية. هكذا كانت الحالة في أيام يسوع وكان الحاكم الإمبراطور الروماني القاسي. ولا تزال الحكومة هكذا في البلدان الدكتاتورية حتى في أيامنا نحن وقد ضُحِّي بملايين من البشر لتغيير هذه الفكرة. ورغم عظم التضحية وشدة الكفاح لتخليص البشرية من شرور هذه الفكرة لا تزال بعض الحكومات حتى هذه الساعة تميل بل تحاول أن تضبط كل ناحية من نواحي الحياة.

إن المعلم العظيم لم يعلم هكذا بل قال أن الإنسان لم يجعل لأجل السبت أو أية مؤسسة أخرى، وفضح ربط الكتبة والفريسيين حياة الشعب بقواعد صارمة لا تحتمل. وقد نتج عن تعليمه نمو الديمقراطية في كل العالم (وهي حكم الشعب بالشعب) ويتوقف انتشار هذه الديمقراطية وحفظها المستمران على مدى سيادة تعليم يسوع في حياة البشرية. فالمعلم إذن هو ضابط المجتمع، وتقدم المدنية هو نتيجة لمعركة بين معلمي المدارس.

لقد بيَّن يسوع في مثل الوزنات أن العمل واجب الجميع وقال في مناسبة أخرى أن العامل يستحق أجره. وعلم أن العظمة الحقيقية تُبنَى على الخدمة المقدَّمة للآخرين. وهكذا تكون امتيازات العمال للاشتراك في إدارة الصناعات وفي الربح هي نتيجة تأثير مثال المعلم العظيم المطبق في حقل الصناعة. وهناك عدد من رجالات الصناعة كجان ونماكر ومارشل فيلدوجامس كرافت الذين بنوا حياتهم وعملهم على تعليم السيد وروحه.

٥-أشبع الأدب من روحه

لقد تغير أدب العالم تغييراً جوهرياً منذ مجيء المعلم العظيم. وقد ألفت آلاف الكتب عنه وحده. وقد درست كل ناحية من نواحي حياته حتى ناحية طفولته وتربيته، وإنجازاته، وتعاليمه، وأساليبه التعليمية، وموته المكفّر، وتقدم سيادته في العالم، وتأثيره على حقول التفكير المتنوعة، وغيرها. فتكون الكتب والمقالات عنه مكتبة كاملة وقد تبين هذا من جمع أحد الكتاب أسماء الكتب والمقالات المؤلفة عن يسوع فوجدها أكثر من خمسة آلاف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولقد اختُرِعَت في بعض اللغات أحرف أبجدية خاصة لكي يعبر بها عن كلمات يسوع في تلك اللغات. ولم يلعب أحد غيره دوراً هاماً واسعاً بمقدار دوره في أدب العالم. وكثيراً ما كانت الكتب عنه رائجة أكثر من أية كتب أخرى، يباع منها نسخ عديدة جداً كل سنة. وتدهش مكانته الأولى في أدب العالم لا سيما حينما نذكر أنه لم يكترث للكتابة ولم يكتب إلا سطراً واحداً وذلك على الرمل! وبالرغم من أنه لم يكتب فإن كلماته تقتبس أكثر من كلمات أي كاتب في تاريخ العالم.

ويظهر تأثيره على الأدب في اقتباس الشعراء كلماته وتلميحهم إلى تعليمه في شعرهم. فإن في اللغة الإنكليزية وغيرها آلافاً من أبيات الشعر عنه وفي دواوين أعاظم الشعراء قصائد كثيرة مفعمة بأفكاره. قال أحدهم "كالندى للزهرة هكذا يسوع المسيح لنفسي".

وكتاب اللاهوت والأخلاق والتاريخ وتاريخ الثقافة وعلم النفس وعلم الاجتماع وكثيرون من المفكرين الكتَّاب في حقول أخرى قد استمدوا الكثير من آرائهم من تعاليمه. وقد اقتبس من كلماته لا الوعاظ والخطباء فقط بل رجال السياسة والمحامون فهؤلاء أيضاً يذكرون تعليمه دعماً لنقاطهم. ولا مبالغة في القول أن تعاليم يسوع قد لونت وأشبعت كتابات المدنية وتفكيرها مدة ألفي سنة. ولا يقدر أي معلم آخر أن يدعي تبوُّء مركز مثل هذا المركز في أدب العالم.

٦-أثر على الفنون الجميلة

يعادل تأثير المعلم العظيم على الفنون الجميلة تأثيره على الأدب ولقد طبع على فنون العالم كله سمته التي لن تمحى ولا سيما على الموسيقى. وقد بذل كثير من المؤلفين في كل العالم أيامهم في تأليف التراتيل باسمه كما رفع كثيرون أصواتهم بالتسبيح الكلي له. وقد اختبر الذين تغربوا في بلدان بعيدة الاتصال والتفاهم مع سكان تلك البلدان بواسطة كلمات التراتيل المسيحية وألحانها. وقد ألَّف باخ وهادن رهندل أجمل الأناشيد الروحية الروائية لتسبيح المسيح ورتلت هذه الأناشيد في الكثيدرائيات وأُذيعَت على أمواج الراديو إلى أقاصي الأرض. ولا يمكن تقدير تأثير ترانيم كـ"مثل عظيم رحمتك" و"أحربة أجرت دما رب الورى الحنون".

وكذلك قد استوحيت أعظم الصور من حياة يسوع لتصوير مواقفه أو لتصويره هو ولا سيما صور تسو ورافيال ورمبراندت فقد قضى تسو أغلب أيام حياته في تصوير مشاهد من حياة السيد. وكانت لهذه الصور قيمة تعليمية واسعة لأن الإنسان يستوعب أغلب معرفته بواسطة العين. فمن يدرك مدى التأثير الذي أحدثته أمثال صور "المسيح مع الأولاد" لبلو كهورست و"الصليب" لفان ديك و"الدينونة الأخيرة" لميخائيل أنجيلو. والآن تُبذَل الأموال الطائلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لإعداد الأفلام المتحركة التي تظهر حياة السيد وعمله على الأرض. فلو أخرجت صور المسيح من صور العالم لأضمحلّ فن الرسم وأمسى عقيماً.

ولا يقل تأثير يسوع على هندسة البناء عن تأثيره على الرسم ويصح هذا القول بصورة خاصة على الكثيدرائيات العظيمة وقد استمر هذا التأثير خلال تاريخ المسيحية. ومع أن هيئة أبنية الكنائس قد تغيرت بين عصر وآخر تبعاً لتغيير الفكر عن الكنيسة وعملها فإنها اتصفت في كل العصور بالجمال والفخامة والخدمة. وكانت أجمل رسوم الهندسة المعمارية دائماً تلك التي بنيت لعبادة المسيح. ونخص بالذكر بينها كثيدرائيات ريمس والقديس بطرس ووستمنستر. ويُظهر النحت داخل هذه الكنائس وخارجها تأثيره. لقد استخدمت الكنيسة اللاتينية التماثيل و لا تزال لا سيما مشهد الصلب وفي بعض الكنائس يشاهَد النحت أكثر مما يشاهد في غيرها كمشاهد "الدينونة الأخيرة" في كاثدرائية بورجس في فرنسا.

٧-أثار روح الإحسان

بالرغم من أن يسوع لم يملك شيئاً شخصياً ولم ينجح في حث الشاب الغني على التبرع بأمواله ومع أنه حكم على الذين طلبوا الغنى بصرامة فإنه قد نجح نجاحاً عجيباً في إثارة الرغبة في الأغنياء لكي يعطوا من أموالهم لسد حاجات البشر ولنشر ملكوته. قال شاروود ادي "لم يملك يسوع مالاً ولم يقتن عند موته سوى قميص منسوج بغير خياطة. ولم يسجل له طلب شيء إلا شرْبة ماء بارد لم تقدم له. فلم يقتنِ شيئاً ولم يطلب شيئاً وقد أعطى كل شيء...وحكم على الأغنياء... ومع هذا فقد رُمِيَت الثروات عند قدميه وهو الآن أكثر من أي شخص آخر في العالم يرشد ويسود على أسمى صفة الإحسان في سبيل الإنسانية" وحقاً أن الناس قد أعطوا ملايين من الدولارات لسبب مثاله وتعليمه.

لقد حدث هذا العطاء أو الإحسان في القرون الباكرة إذ باع رجال ونساء أغنياء أملاكهم ووزعوا أثمانها أو وزعوها على المحتاجين ونذروا الفقر والطهارة فانسحبوا إلى المغاور والأكواخ والأديرة ليعيشوا حياة البر. وقد حدث مثل هذا أيضاً في السنين الأخيرة إذ تبرع رجال ككارنيغي وروكفلر وهاردن بأموال طائلة لإنشاء المكاتب والمدارس والمستشفيات. فعلوا ذلك لأن روح يسوع حرَّك ضمائرهم فلم يرضوا أن يموتوا وهم متمسكون بهذه الأموال الكثيرة. لقد ألهم الناس في العصور السالفة ولا يزال ولن يزال يلهمهم أن يستخدموا ما لهم لمجدِه هو. وهو وحده قد اقتاد البشرية إلى فهم أنَّ العطاء مغبوط أكثر من الأخذ. وبالنتيجة فإن المجتمع أصبح أغنى والأخلاق أقوى بسبب تعليمه الناس العطاء والإحسان.

وقد نتجت عن روح العطاء التي خلقها السيد المستشفيات ودور النقاهة والمياتم والملاجئ للمسنِّين والعجز والمدارس والكليات المسيحية في بلدان العالم كلها. والمؤسسات الحكومية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التي من هذا النوع قد نتجت أيضاً عن الروح المسيحية في بلدان العالم كلها. والمؤسسات الحكومية التيمن هذا النوع قد نتجت أيضاً عن الروح المسيحية إنما بطريقة غير مباشرة. ولا نتجاوز الحق حينما نقول أن كل ما هو غير أناني في حركة الحكومة في سبيل الإسعاف والعناية والأمن قد ألهمه تعليم يسوع بمحبة القريب كالنفس. فإنه حقاً مصدر روح الإنسانية في كل العصور ولقد استفدنا جميعاً من العطاء والإحسان اللذين سببهما هو.

٨- دفع إلى الخدمة

يرافق روح العطاء في سبيل الإنسانية الدافع إلى الخدمة الذي يجعل الأفراد يصرفون النظر عن الرفاهية والراحة والربح الأناني لكي يقدموا وقتهم ومواهبهم ونشاطهم لمساعدة الآخرين ولقد ترك البعض كماليات المدنية وخاطروا بصحتهم وحياتهم مدفوعين بمثال يسوع لكي يحملوا رسالته إلى أقاصي الأرض إلى الذين يعيشون في الظلمة والانحطاط. ومن هؤلاء العظماء في الخدمة لفنغستون وجودسون وغرنفيل. ولم يقدم أحد لسقراط أو ابكتيتس أو أبيلارد أو أي معلم عظيم آخر خدمة نظيرها. ونتيجة لخدمتهم "لقد ارتقت القبائل الهمجية وتمدَّن آكلو لحوم البشر واهتدى صيادو الناس إلى الحق وتأسست مدارس وكليات وتغيرت أخلاق الأفراد والشعوب وعاداتهم". فإن الحركة التبشيرية العالمية كلها هي تكرار تأثير المسيح الدافع إلى الخدمة الغير أنانية. ولم تنافس أية جماعة من الناس المرسَلين العظماء من حيث روح التضحية.

وما صح على العمل التبشيري العالمي يصح على خدمات أخرى. كمؤسسة الصليب الأحمر التي تخدم المرضى والمنكوبين في أوقات الأوبئة والطوفان، والجرحى والذين في حالة الاحتضار في وقت الحرب وتعطي الدم، وكل هذا من ثمرات تعليم يسوع وخدمته. وتصدر عنه أيضاً الملاجئ للسّاقطين في مناطق منحطّة في المدن ومراكز العمل الاجتماعي في مناطقها الفقيرة. ويخدم آخرون بروح المسيح في ملاجئ العجز والأيتام وفي مستشفيات للمرضى جسدياً وعقلياً.

من الأمثال النيّرة بين خُدَّام الإنسانية المدفوعين بروح السيد كلارا بارثون وفرانسس ويلارد وجاين ادمس. وهناك فلاح راقب ابنه الطبيب وهو يخدم المحتاجين بمهارة وعرف أنه لم يربح كثيراً من خدمته فقال يا بني لو كنت قادراً أن أخدم الآخرين مثلك لبذلت كل ما عندي. اذهب أنت واخدم المحتاجين وسأرجع أنا إلى المزرعة فأعولك. وهناك العالم المشهور لويس باستور الذي عند موته تمسك بالصليب وصلى طالباً أن لا تُستعمَل اكتشافاته لضرر الإنسان.

قال شاروود أدي "قد مُنِحَ السيد أقلّ من ثلاث سنوات ليكمل عمله –أكثر من سنة بقليل لخدمة عمومية وسنة في الخلاء لتدريب جماعته الحقيرة. وقد قطع من الحياة في شبابه،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد الثلاثين بوقت قصير. أما سقراط فقد علّم أربعين سنة وعلّم أفلاطون خمسين وكذلك أرسطو طاليس عاش طويلاً وملأ المكاتب بعلمه. وعاش كل من بوذا وكنفوشيوس سبعين سنة فضلاً عن أن يسوع عاش في وسط شعب مسحوق تحت ظلم القوانين الصارمة، وقد عارضه الكتبة والفريسيون بغيرة وأبغضوه، وأسلمه اليهود وصلبته الأمم. ولم يترك كتاباً ولا نبذة ولا صفحة. ولم يورث أتباعه نظاماً ولا فلسفة أو نظاماً لاهوتياً أو قانوناً. ولم يجند الجيوش ولم يشغل منصباً واحداً ولم يطلب النفوذ بل أدار ظهره إلى القوة والسحر والعجائب السطحية الجذابة للأنظار...ورغم هذا كله غيّر اليهودي المتعصب وجعل ديانته لجميع الشعوب. وأظهر للفيلسوف اليوناني الحقّ الأسمى وأقنع الروماني المتعجرف بوضع الصليب على لوائه بدلاً من النسر ومد يده للقارات العظيمة وغيرها –آسيا وأوروبا الهمجية وإفريقيا المظلمة وأميركا".

ويضيف آخر بقوله "لقد أصبت بالقول أن جميع الجيوش التي زحفت وكل الأساطيل التي بنيت وكل المجالس النيابية التي اجتمعت وكل الملوك الذين حكموا في كل الأزمنة معاً، لم تؤثر على حياة الإنسان على الأرض بقدر ما فعلت هذه الشخصية الوحيدة". فبموجب أي مقياس كان لا يخامرنا أدنى شك في أنه أعظم معلم في العالم. وعلينا أن نتبعه بكل تواضع ونتلمذ جميع الأمم...ونعلمهم أن يحفظوا جميع ما أوصانا به" (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

مساعدات للتعليم

التبويب على اللوح

١-رفع قيمة الشخصية.

٢-غير الحياة.

٣-أثار الإصلاحات.

٤-حسن المؤسسات.

٥-اشبع الأدب من روحه.

٦-أثر على الفنون الجميلة.

٧-أثار روح الإحسان.

٨-دفع إلى الخدمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواضيع للبحث

١-كيف غير يسوع الحياة؟

٢-اذكر إصلاحات أخرى أتت بها المسيحية.

٣-قابل بين العائلة في بلاد مسيحية وبلاد وثنية.

٤-اذكر خمس تراتيل عظيمة عن يسوع.

٥-اعط نتائج أخرى لتعليم السيد.

أسئلة للمراجعة والامتحان

١-كيف رفع يسوع قيمة الشخصيّة؟

٢-ابحث في تحسينه المؤسسات.

٣-اذكر إصلاحات أثارها يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com